الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها

موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

من الدراري المضيئة

{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No.:
Date:

الرقم: ب ت ع/ ٥٠٤٩
التاريخ: ١٤/٨/٢٠٢٢

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ١٢/٢٨ /٢٠٢١ والحاقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٢

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوراق.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – دائرة البحث والتطوير – القصر الأبيض – المجمع الثربوي – الطابق السادس

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ تشرين الأول ٢٠٢٥ م
رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)
الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

الذكوات البيض

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقاني / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ – تشرين الأول ٢٠٢٥ م

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦هـ - تشرين الأول ٢٠٢٥م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١
الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١
البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصفية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ معدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، واذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد (١٧) المجلد الثالث

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	التعريف بالحاكم الجشمي وتفسيره التهذيب ومكانته العلمية .	أ.د. مهند محمد صالح عطية الباحث:أحمد نجم عباس	٨
٢	أثر استراتيجية الحالات المصغرة في تنمية المهارات القرائية لدى طلاب الصف الاول المتوسط	أ.م.د.احسان عدنان عبد الرزاق	١٦
٣	مدرسة الحكمة المتعالية عند صدر الدين الشيرازي	أ.د. زينه علي جاسم	٣٢
٤	القيمة والمعيار: قراءة في رؤية اليوسف للشعر ووضائفه«مقال مراجعة»	م. د. زينب ميثم علي	٤٠
٥	النموذج الصالح في الثقافة الإسلاميّة «مقال مراجعة»	م. د. نورا حسين علي	٤٦
٦	تطور الذكاء الاقتناعي عند المراهقين	م. د. محمود محمد طالب	٥٢
٧	التكرار ودوره في ترسيخ الذاكرة الشعرية في قصيدة (تاريخ الدموع)للشاعر مهدي النهيري	م.د.سندس عبدالكاظم جاسم	٦٨
٨	العمل التطوعي ودوره في تعزيز مشاركة المرأة في تنمية المجتمعات الريفية دراسة ميدانية في محافظة بغداد	الباحثة: ساره محمد يوسف أ. د. ميسم ياسين عبيد	٧٦
٩	الحصانة النفسية وعلاقتها بالرفاهية النفسية لدى طلبة الجامعة	م. م. رسول شاهين جمال أ.م. د.أحمد عجيل ياور	٩٢
١٠	التحوّل بين أبنية صيغ الأسماء في اللغة العربية	أ.م.د. علي سامي أمين	١٢٠
١١	بلاغة الاقناع اللغوي لجملة الاعتراض في الخطاب القرآني	م. د. محمد جاسم حنون	١٤٢
١٢	سلبيات وسائل التواصل الاجتماعي على المجتمع العراقي وعلاجها في ضوء الفكر الاسلامي (السهر) انموذجاً «دراسة علمية»	م. طباء صاحب مشكور م. م. نغم بكي ناجي م. م. ايناس عبدالرحمن زايد	١٥٨
١٣	تطور الطاقة الكهربائية في الدولة العثمانية، محطتي طرسوس وسيلاه تار انا نموذجاً ١٩٠٢_١٩١٤م	م.د علي إسماعيل زيدان م. غدير خليل عبد الأمير	١٧٢
١٤	دورالإرادة في تحديد القانون الواجب التطبيق في العقود الدولية.	همام ستار صادق أ.د. مهدي مرداشي	١٨٢
١٥	التوثيقات الرجالية وأثرها في الترجيح بين الأخبار المتعارضة	م. م. شذى عبد الأمير عبد الله	١٩٢
١٦	قياس الكفاءة الادارية لمديري الاشراف التربوي في ضوء بعض المتغيرات	م. م. اسماء جليل عباس	٢٠٢
١٧	الانفاق الاقتصادية للدولة الفاطمية	م. م. هناء عطية تعبان	٢١٦
١٨	تسميات النجف وقبر أمير المؤمنين(عليه السلام)دراسة من الناحية التاريخية والأثرية	م. م.أحمد عبد الكاظم محمد	٢٢٨
١٩	استراتيجيات التعلّم القائم على الألعاب الرقمية في تعزيز الطلاقة الحسابية لطلبة المرحلة المتوسطة	م. م. حميد محمد عبد الله	٢٤٨
٢٠	الثورات العربية وتأثيرها على مصر من ٢٠١١ م الى ٢٠٢٠م.	م. م. رحاب حسن عبد	٢٦٨
٢١	التدافع في القرآن الكريم والسنن الربانية	الباحث: مصطفى محمد ذياب	٢٨٤
٢٢	ألفاظ المنع والعطاء في القرآن الكريم	م. م. انتصار محمد رضا محسن	٢٩٢
٢٣	أدبيّة النصّ القرآنيّ دراسة في البنية الإيقاعية والتصويرية والقصصية	م. م.محمد حمزة عبد الواحد أ.م.د. سرى سليم عبد الشهيد	٣٠٨
٢٤	حكم الجزية والأمان عند الإمامة	م. م. ولاء علي حسين	٣١٦
٢٥	المملكة العربية السعودية ودور شركات النفط في التطورات الحديثة فيها	م. م. نور صفر سايه خان	٣٢٦
٢٦	هيكل السلطات في الدولة الإسلامية: دراسة تاريخية وتحليل وظيفي	م. م. غياث خالد منفي	٣٣٨
٢٧	أنماطُ الشّخصيّة وتحولاتها في رواية أرض زيكولا« قراءة في البنى النفسية والدلالية»	م. م. إيمان صاحب كطافه	٣٥٤
٢٨	The Intersection of Language and Artificial Intelligence: Implications for Linguistic Diversity	Lecturer Ahlam Abdulrazzaq Thiab Al-Dulaimi	٣٦٦
٢٩	The Role of Applied Linguistics in Translation Studies : Challenges and innovations	Researcher:Shrouq Shahab Ahmad	٣٨٢

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

التعريف بالحاكم الجشمي
وتفسيره التهذيب ومكانته العلمية .

أ.د. مهند محمد صالح عطية الباحث: أحمد نجم عباس
جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

المستخلص:
في هذا البحث سنتناول سيرة حياة العالم الجليل الجشمي والتعرف عليه من خلال معرفة اسمه ولقبه وولادته ووفاته، والتعرف على كتابه التهذيب وهو من أفضل ما خطه الجشمي في علم التفسير ، فهو مؤلف زاخر وضخم، خدم به المكتبة الإسلامية والقرآنية، فقد تكون من عشرة مجلدات، حفل الكتاب بطريقة جديدة في التبويب، إذ وافق تبويبه موضوعات العلوم القرآنية، كالإعراب والقراءة واللغة وأسباب النزول والنظم، والمعنى والأحكام.
الكلمات المفتاحية:الجشمي ، سيرته ، حياته ، تفسيره .

Abstract:
This research will explore the life of the esteemed scholar Al-Jashmi, examining his name, title, birth, and death. It will also delve into his book, Al-Tahdhib, considered among his finest works on Quranic exegesis. This comprehensive and voluminous work, comprising ten volumes, has significantly enriched Islamic and Quranic scholarship. It features a novel approach to organization, aligning the topics of Quranic sciences such as grammar, recitation, linguistics, reasons for revelation, structure, meaning, and rulings.
Keywords:Al-Jashmi, biography, life, exegesis.

التعريف بالحاكم الجشمي
وتفسيره التهذيب ومكانته العلمية .

يتناول هذا المبحث فكرة التعريف بالحاكم الجشمي من خلال معرفة اسمه ولقبه وولادته ووفاته، ثم التعريف بكتابة تفسير التهذيب والمكانة العلمية التي نالها. وقسم البحث على مبحثين تطرقنا في المبحث الاول الى التعريف بالحاكم الجشمي ، وشمل المبحث الثاني التعريف بالتفسير ومكانته العلمية.

المبحث الأول: التعريف بالحاكم الجشمي.

أولا: اسمه ولقبه.

هو الحاكم أبو سعد، المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، نسبه ينتهي محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)(١).

وقد لقب بألقاب عديدة منها:

– الحاكم، عرف واشتهر به، فقد اتفقت المصادر على توصيفه بالحاكم، لأنه بلغ مبلغاً عظيماً في علم الحديث(٢).

الإمام: لأن نسبه ينتهي إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام).

المحسن: أكثر المصادر بتخفيف السين، وبعضها بتشديدها.

كرّامة: هو اسم جده، والغالب أن اسمه المحسن بن كرامة بالتخفيف(٣).

الجشمي: اختلف المؤرخون في نسبة الرجل إلى جشم وفق ما يلي:

١ . هو اسم قبيلة، وقد سمي به حي موجود في اليمن(٤).

٢ . أن هذا اللقب جاء نسبة إلى بلده، بيهق وهي قرية بإقليم خراسان(٥).

وتذكر بعض المصادر أن نسبه يعود إلى ابن الحنفية بن علي بن أبي طالب(٦).

البيهقي: نسبة إلى بيهق(٧).

ثانياً: ولادته ووفاته:

ولادته:

ولد في عام ٤١٣ هجرية في شهر رمضان المبارك في جشم، وهي موجود في بيهق بخراسان(٨).

لم تفصل الكتب والمصادر عن نشأة هذا الرجل، وظروفها، فلم تذكر تكوين والده العلمي، حتى هو لم يذكر شيئاً عن ذلك(٩).

لكن من الواضح أنه نشأ بشكل كريم ولائق، والتراث يشهد له بمكانته، فمؤلفاته أكثر من أربعين كتاباً، ونسبه يمتد إلى بيت النبوة والعلم، والإقليم الذي نشأ فيه غلب على سكانه العلم والفضل والأدب والفقه، وكان الجشمي على صلة وثيقة بهم فتأثر بعلمهم(١٠).

وفاته:

في آخر القرن الخامس للهجرة ذهب الحاكم إلى مكة، ليس لطلب العلم لأنه كان شيخاً، وربما السبب أداء مناسك الحج، أو لظروف اجتماعية وسياسية جعلته يترك موطنه ويقيم بمكة(١١).

ويقال إن وفاته كانت قتلا بسبب رسالة طعن فيها الجبرية بمكة سنة ٤٩٤هـ، وعمره آنذاك واحد وثمانون عاماً. وقد جعلهم أتباع إبليس واتهمهم بالكفر فيها(١٢).

ثالثا: عقيدته:

أجمع العلماء المترجمين أنه معتزلي، والسبب تلمذته على يد شيوخ أخذوا علمهم من القاضي عبد الجبار، ومن هنا انتسب إلى معتزلة البصرة(١٣).

رابعا: مذهبه:

كان مذهبه حنفياً، فقد تتلمذ على أيدي عدد من الشيوخ الحنفية(١٤). ثم تحول للمذهب الزيدي، وخلاصة أفكار وآرائه تفيد أنه كان يرجح هذا المذهب(١٥).

خامسا: ثناء العلماء عليه:

أشار العلماء إلى مكانة الجشمي الرفيعة والسامية في العلوم الدينية والإسلامية، فهو مؤرخ وعالم كبير، من طبقة الجبائي، وقد عبر أهل العلم ممن تطرقوا إليه وإلى كتبه ومؤلفاته، فأثنوا عليه، ومن ذلك قول الصريفيني: « الحسن بن محمد كرامة الفاضل البارع، من ناحية بميق، صنف التصانيف على مذهب العدل، وحرر المسائل، وعقد له مجلس الإملاء بالناحية»(١٦).

والجشمي «كان إماماً عالماً مصنفاً صادعاً بالحق»(١٧).

أما الصنعاني فقد أشار إليه بقوله: « الشيخ العلامة، أستاذ الزمخشري، الحاكم أبو سعيد الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي، كان إماماً عالماً مصنفاً صادعاً بالحق»(١٨).

ووجد الحسيني أنه « علامة في فنون كثيرة»(١٩). وأثنى الزركلي عليه قائلا: « مفسر، عالم بالأصول والكلام»(٢٠).

سادسا: شيوخه:

لقد تتلمذ الجشمي على يد عدد من العلماء الكبار في عصره، واهتم بالأخذ بكثرة من المعتزلة، وممن تتلمذ عنهم:

– الشيخ ابن إسحاق النيسابوري ت (٤٣٣هـ) تعلم منه اللغة وأصول الكلام(٢١).

– عبد الله النيسابوري ت (٤٥٧هـ)، وقد أخذ عنه علم التفسير وأصول الفقه(٢٢).

– عبد الله الناصحي ت (٤٤٧هـ) وقد أطلق عليه الجشمي لقب قاضي القضاة. يقول الجشمي: « قرأت عليه أصول محمد بن الحسن، والجامع، والزيادات، ومسائل الحساب»(٢٣).

سابعا: تلامذته:

كان تلامذة الجشمي كثر ونذكر منهم(٢٤):

– علي بن محمد بن إسحاق الخوارزمي.
– أحمد بن محمد بن إسحاق الخوارزمي.
– محمد بن المحسن.
– جار الله الزمخشري.

ثامناً: مؤلفاته وآثاره العلمية:

كتب الجشمي في مجالات متعددة كالحديث والتفسير والفقه والتاريخ وعلم الكلام. فمن مؤلفاته في التفسير:

– التفسير الموجز.
– التهذيب في التفسير.
– التفسير المبسوط.
– تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين.

ومن مؤلفاته في علم الحديث:

– جلاء الأبصار في متون الأخبار.

وفي علم الكلام:

– الرد على المجبرة.
– شرح عيون المسائل.
– كتاب عيون المسائل.
– رسالة إبليس إلى المجبرة.

وفي التاريخ: كتاب السفينة.

المبحث الثاني: التعريف بالتفسير ومكانته العلمية.

يعد كتاب التهذيب من أفضل ما خطه الجشمي في علم التفسير. فهو مؤلف زاخر وضخم. خدم به المكتبة الإسلامية والقرآنية، فقد تكون من عشرة مجلدات، حققها عبد الرحمن الساملي، وطبعة لأول مرة عام ٢٠١٩م بدار الكتاب المصري في القاهرة. حفل الكتاب بطريقة جديدة في التبويب، إذ وافق تبويبه موضوعات العلوم القرآنية، كالإعراب والقراءة واللغة وأسباب النزول والنظم، والمعنى والأحكام، فهو يلجأ لسبب النزول عندما يريد ترجيح قول على آخر(٢٥).

فقد اهتم بالتبويب والترتيب، وهذا أسلوبه في تفسير الآية، لأن كتابه مرتب بحسب ترتيب السور في المصحف، بدءاً بالفاتحة وانتهاء بسورة الناس، إلا أنه تميز بطريقته في التقسيم لفقرات التفسير في آية واحدة أو مجموعة الآيات(٢٦).

إن منهجه في التفسير بني على أحكام تعتمد قواعد فكرية، وهي مستنبطة منه، ويرتكز على الجدل، وهو لا يقصد بها أحكاماً فقهية أو شرعية(٢٧).

فهناك أحكام تدخل في باب العدل والتوحيد، ومن الأمثلة قوله تعالى:(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)(٢٨).

فهذه الآية تشير إلى إثبات المعاد، وعلى ترهيب وترغيب، فالمكلف عندما يتصور ذلك يلحقه الخوف والرجاء، ويقال: أن هنالك فرق بين ملك ومالك، فالدلالتان مختلفتان، فملك يعني اليوم ملكه، ومالك يعني تحت قدرته(٢٩).

وأيضاً يقول تعالى:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)(٣٠). تدل الآية على بطلان قول من هم أصحاب المعرفة من عدة وجوه، الأول أن المعلوم لكل الأشياء ليس غيباً، والإيمان بالغيب هو شرط لاستحقاق الثواب ووجوب الصلاة واستحقاق الفلاح، خلاف ما يقول المرجئة(٣١).

ويقول سبحانه:(ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)(٣٢).

فالهدى كما تشير الآية هو الدلالة، لذلك وصف مخالفاً للمجبرة(٣٣).

فهم يقولون بأن الهدى يعني الإيمان، فالقرآن ينظر إليه على أنه طريق وهدى للحق، فيبطل القول بالتقليد ومذهب أصحاب المعارف(٣٤).

فلو كانت المعرفة ضرورية لم يكن لجعل القرآن هدى أي معنى(٣٥). يقول تعالى:(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٢)) (٣٦). فالآية الكريمة دلت على وجوب حمد الله وشكر نعمه، وتعليم العباد كيفية الحمد(٣٧). « فإذا قيل ما الشكر؟ نقول هو بالقول وبغيره، لهذا قال تعالى:(يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ)(٣٨)،(٣٩).

وفي قوله تعالى: (فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ) (٤٠). فالآية تشير إلى أن من شك بالدين فهو على ضلال وكفر، وذلك كبيرة تستحق العقاب(٤١)، وفي قوله تعالى:(وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ)(٤٢).

وتشير الآية إلى النفاق وقبحه في الدين، والتحذير منه، وعدم الاستهزاء بأهل العلم والحق، فالجرم كبير في موافقة أهل الكفر(٤٣).

أما عن ترجيحات الجشمي في كناية، فإن رجحان القول وقوته لأي مفسر تكون واضحة عندما يذكر صيغة ما من صيغ الاختيار والترجيح، والجشمي استعمل صيغاً في اختياره للأقوال ومنها: الأصح، الحسن، الأظهر، الصحيح، الصواب، الأصل، الظاهر، الأقرب، الأوضح، الأوجه، الجائز، الأكثر، الأجود، الوجه، والاختيار(٤٤).

وكل صيغة تدل دلالة خاصة، وكان للترجيح عنده وجوه استخدمها وهي:

١ –الترجيح بالقراءات القرآنية: فعندما تثبت القراءة لا يجوز ردها أو رد معناها وهي مستقلة(٤٥). وقد أولى الجشمي هذا النوع عناية خاصة، ففي تفسيره لقوله تعالى:(إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ) (٤٦).

يقول: « قرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة، والباقون بياءين، وهو الاختيار لأنه الأصل، ولأن أكثر القراء عليه»(٤٧).

٢ – الترجيح بالنظائر: يقصد به نظائر القرآن، أي تفسير بعضه ببعضه، وعندما يدل موضع على المطلوب بوضع آخر حملناه عليه، ورجحناه على الأقوال الأخرى(٤٨).

من ذلك قوله تعالى:(لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) (٤٩).

يقول الجشمي: « قيل يغفر للتائب وأصحاب الصغائر، ويعذب المصرين وأصحاب الكبائر، وقيل يعذب الكافرين ويغفر للمؤمنين»(٥٠).

٣–الترجيح بالاشتقاق: الِاشْتِقَاقُ مِنْ تَوَابِعِ الْحَقِيقَةِ جَازَ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَوَابِعِ بَعْضِ الْمُسَمَّيَاتِ، وَلَيْسَ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ أَوْلَى مِنَ الْآخَرِ، وَعَلَى هَذَا فَلَا يَلْزَمُ مِنَ الِاشْتِقَاقِ فِي بَعْضِ الْمُسَمَّيَاتِ الِاشْتِقَاقُ فِي غَيْرِهِ؛ لِعَدَمِ الِاشْتِرَاكِ فِي ذَلِكَ الْمُسَمَّى(٥١).

فالقول المؤيد من اشتقاق الكلمة لتصريفها أولى(٥٢). وقد ركز الجشمي عنايته بهذا القسم من الترجيح، يقول تعالى:(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) (٥٣).

إذ يقول: « اسم قيل: مشتق من السمو، وهو الارتفاع، وقيل: من السمة، والأول أصح»(٥٤). فالإعجازُ التشريعيّ القرآنيّ: هو إثباتُ عَجزِ عالَميّ الإنسِ والجنّ كافّةً عن الإتيانِ بتشريعاتٍ تُضاهي ما جاءَ به الذِّكرُ الحكيم من تَشريعاتٍ وضَوابطَ للفردِ والمجتمعِ على كلّ صعيدٍ من صُعُدِ الحياةِ على اختلافِ ألوانِها وتَشعُّبِ أصولِها

وفروعها، مما يؤكّدُ أنّ هذا التشريعَ إلهيُّ المَصدَر، كاملٌ في ذاته، وهو مجلىً لكمالِ الحقِّ(سبحانه) الذي أوحاه إلى نبيّه(صلى الله عليه وآله وسلم).

ويقول الدكتور «محمّد سعيد رمضان البوطيّ» في تعريفه «إعجاز التشريع القرآنيّ»: (إنّه ذلك التشريعُ المتضمّنُ للدّقّةِ والتكامُلِ المُتعلّقِ بشتّى أمورِ الحياةِ، الخاصّةِ والعامّةِ، الذي عَنَتْ لعظمَتِه وسُمُوّه جِباهُ علماء التشريع والقانون) (٥٥).

يُستنتَجُ من خلالِ مجموعِ تلك التعريفاتِ أنّ ما أتى به «الذِّكرُ الحكيم» من تشريعاتٍ تشمَلُ كلَّ جوانبِ حياةِ الإنسانِ على هذه الأرضِ، بكلّيّاتِها جزئيّاتِها لما فيه خيرُ الإنسانِ، وقد عجزت وستَعجَزُ عن الإتيانِ بمثلِه كلُّ تشريعاتِ العالَمِ من فَجرِ التاريخِ وإلى يومِ القيامةِ.

الهوامش :

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٢/٨٤، وتاريخ بيهق، دار اقرأ، ظهير الدين علي بن زيد ابن فندق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٣٩٠.

(٢) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان محمد زرزور، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م، ٦٦.

(٣) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان محمد زرزور، المصدر السابق ، ٦٦.

(٤) المحكم والمحيط الأعظم ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م، ١/١٠٨٨.

(٥) معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت الحموي، ٢/١٤١. ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م، ١/١٨٧.

(٦) تاريخ بيهق، ابن فندق، ص ٣٩٢.

(٧) الأنساب، عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٩٦٢م، ٢/٤١٢.

(٨) طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، د.ت، ٢/٨٩١.

(٩) طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، ٢/٨٩٢

(١٠) ، الاحتجاج للقراءات القرآنية وتوجيهها عند الحاكم الجشمي من خلال تفسيره: التهذيب في التفسير، ناصر أحمد أحمد الخطري ٦٠١.

(١١) الدرس النحوي والصرفي في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، أحمد حسن العروسي، كلية اللغات، جامعة صنعاء، اليمن، ٢٠٠٧م، ١٣.

(١٢) أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٨٢٠.

(١٣) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان زرزور، ٨١.

(١٤) مطلع البدور، أبو الرجال الصنعاني، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، صعدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ٤/٤٠٤.

(١٥) تحكيم العقول في تحقيق الأصول، الحاكم الجشمي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ١٢ . وعدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، ٨١.

(١٦) المنتخب من كتب السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م، ٤٥٥.

(١٧) طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، عمان، ١٤٢٢هـ، د.ط، ٢/٨٩٢.

(١٨) مطلع البدور، أبو الرجال الصنعاني، ٤/٤٠٤

(١٩) تراجم الرجال، السيد أحمد الحسين، مجمع البحوث الإسلامية، قم، إيران، د.ت، ٣٢.

(٢٠) الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، بيروت، ٢٠٠٢م، ٥/٢٨٩.

(٢١) شرح الأزهار، أحمد المرتضى، مكتبة غمضان، د.ت، ١/٣٢.

(٢٢) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير. عدنان زرزور، ٧٨،٧٩.

(٢٣) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر الحنفي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ٢/٣٠٥.

(٢٤) الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير ، عدنان زرزور، ٨٠.

(٢٥) ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره التهذيب في التفسير، سورتا الفاتحة والبقرة أنموذجاً، سنان عبد الله مجمل سليمان، مجلة جامعة البيضاء، المجلد الرابع، العدد الثالث، ديسمبر ٢٠٢٢م، ١١٠.
(٢٦) الحاكم الجشمي في تفسيره، سنان عبد الله مجمل سليمان، ١١١.
(٢٧) الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، ومنهجه في إيراد الأحكام في تفسيره التهذيب في التفسير، أمة اللطيف عبد الوهاب خيران، الإمام أبو سعد، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ٢٠٢٣م، ٢٦٤.
(٢٨) سورة الفاتحة الآية ٤.
(٢٩) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ١١٤/١. والوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، الطبعة الأولى، ٦٧/١. والتهذيب في التفسير، الجشمي، ٢١٠/١.
(٣٠) سورة البقرة : الآية ٣.
(٣١) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٢٨/١. ولب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي، دار صادر، بيروت، د.ت، ٢٤١/١. ومغاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العيني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م، الطبعة الأولى، ٤٥٣/٤.
(٣٢) سورة البقرة: الآية ٢.
(٣٣) الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، أيار، مايو، ٢٠٠٢م، الطبعة الخامسة عشر، ٣١٠/٥.
(٣٤) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، د.ت، ٣١٠/٥.
(٣٥) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٢٥/١.
(٣٦) سورة الفاتحة : الآية ١، ٢.
(٣٧) أحكام القرآن، الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، الطبعة الأولى، ٢٧/١.
(٣٨) سورة سبأ: الآية ١٣ .
(٣٩) بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، د.ت، ١٦/١. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، والثعلبي، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ١٠٨/١.
(٤٠) سورة البقرة الآية ١٠.
(٤١) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٤٩/١.
(٤٢) سورة البقرة: الآية ١٤.
(٤٣) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٥٧/١.
(٤٤) ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره، سنان عبد الله مجمل سليمان، ١١٢.
(٤٥) قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، الحربي، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٨٩/١.
(٤٦) سورة البقرة: الآية ٢٦.
(٤٧) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٠١٩م، ٢٩٤/١.
(٤٨) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ١٢/١.
(٤٩) سورة البقرة : الآية ٢٨٤.
(٥٠) التهذيب في التفسير، الجشمي، ١٠٨٥/٢.
(٥١) الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي ، قام بتصحيحه: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان علي الحمد الصالحي ، الناشر: مؤسسة النور بالرياض، سنة ١٣٨٧ هـ، ٤/ ١٣٢.
(٥٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية وتطبيقية، الحربي، ٥١١/١.
(٥٣) سورة الفاتحة: الآية ١.
(٥٤) التهذيب في التفسير، الجشمي، ٢٠٠/١.
(٥٥) من روائع القرآن، د. محمّد سعيد رمضان البوطيّ، مكتبة الفارابيّ، ط: ٥، ١٩٧٧/م/، : ١٨٥.

المصادر والمراجع:

١- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م، ٨٤/٢
٢- تاريخ بيهق، دار اقرأ، ظهير الدين علي بن زيد ابن فندق، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ
٣- الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، عدنان محمد زرزور، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، ١٩٦٩م
٤- المحكم والمحيط الأعظم ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٥م

٥- ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٩٤م
٦- الأنساب، عبد الكريم السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١
٧- طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، تحقيق: عبد السلام بن عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، د.ت
٨- الاحتجاج للقراءات القرآنية وتوجيهها عند الحاكم الجشمي من خلال تفسيره: التهذيب في التفسير، ناصر أحمد أحمد الخطري
٩- الدرس النحوي والصرفي في تفسير التهذيب للحاكم الجشمي، أحمد حسن العروسي، كلية اللغات، جامعة صنعاء، اليمن، ٢٠٠٧م
١٠- أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام بن عباس، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، المملكة الأردنية الهاشمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م
١١- مطلع البدور، أبو الرجال الصنعاني، منشورات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن، صعدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م
١٢- تحكيم العقول في تحقيق الأصول، الحاكم الجشمي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، اليمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م،
١٣- المنتخب من كتب السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م
١٤- طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الأردن، عمان، ١٤٢١هـ، د.ط
١٥- تراجم الرجال، السيد أحمد الحسيني، مجمع البحوث الإسلامية، قم، إيران، د.ت
١٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، بيروت، ٢٠٠٢م
١٧- شرح الأزهار، أحمد المرتضى، مكتبة غمضان، د.ت
١٨- الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، عبد القادر الحنفي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م
١٩- ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره التهذيب في التفسير، سورتا الفاتحة والبقرة أنموذجاً، سنان عبد الله مجمل سليمان، مجلة جامعة البيضاء، المجلد الرابع، العدد الثالث، ديسمبر ٢٠٢٢م
٢٠- الحسن بن محمد بن كرامة الجشمي، ومنهجه في إيراد الأحكام في تفسيره التهذيب في التفسير، أمة اللطيف عبد الوهاب خيران، الإمام أبو سعد، مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية، المجلد الثالث، العدد الثاني، ٢٠٢٣م
٢١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م
٢٢- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، علي بن أحمد الواحدي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، قدمه وقرظه: عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م
٢٣- ولب اللباب في تحرير الأنساب، السيوطي، دار صادر، بيروت، د.ت،
٢٤- مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، بدر الدين العيني، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م
٢٥- الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، أيار، مايو، ٢٠٠٢م، الطبعة الخامسة عشر
٢٦- الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، د.ت
٢٧- أحكام القرآن، الجصاص، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م
٢٨- بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندي، د.ت، ١٦/١ . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، والثعلبي، الكشف والبيان، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م
٢٩- ترجيحات الحاكم الجشمي في تفسيره، سنان عبد الله مجمل سليمان
٣٠- قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية تطبيقية، الحربي، دار القاسم، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م
٣١- التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م
٣٢- الإحكام في أصول الأحكام، لسيف الدين، أبو الحسن، علي بن محمد الآمدي (ت ٦٣١ هـ)، علق عليه: عبد الرزاق عفيفي ، قام بتصحيحه: عبد الله بن عبد الرحمن بن غديان علي الحمد الصالحي ، الناشر: مؤسسة النور بالرياض، سنة ١٣٨٧ هـ
٣٣- قواعد الترجيح عند المفسرين، دراسة نظرية وتطبيقية، الحربي
٣٤- من روائع القرآن، د. محمّد سعيد رمضان البوطيّ، مكتبة الفارابيّ، ط: ٥، ١٩٧٧/م

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٧) السنة الثالثة جمادى الآخرة ١٤٤٦ هـ كانون الأول ٢٠٢٥م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon

Website address

White Dome Magazine

Republic of Iraq

Baghdad / Bab Al-Muadham

Opposite the Ministry of Health

Department of Research and Studies

Communications

managing editor

07739183761

P.O. Box: 33001

International standard number

ISSN3005_5830

Deposit number

In the House of Books and Documents (1127)

For the year 2023

e-mail

Email

off reserch@sed.gov.iq

hus65in@gmail.com

General supervision the professor
Alaa Abdul Hussein Al-Qassam
Director General of the
Research and Studies Department editor
a . Dr . Sami Hammoud Haj Jassim
managing editor
Hussein Ali Muhammad Hassan Al-Hassani
Editorial staff
Mr. Dr. Ali Attia Sharqi Al-Kaabi
Mr. Dr. Ali Abdul Kanno
Mother. Dr . Muslim Hussein Attia
Mother. Dr . Amer Dahi Salman
a. M . Dr. Arkan Rahim Jabr
a. M . Dr . Ahmed Abdel Khudair
a. M . Dr . Aqeel Abbas Al-Raikan
M . Dr . Aqeel Rahim Al-Saadi
M. Dr.. Nawzad Safarbakhsh
M. Dr . Tariq Odeh Mary
Editorial staff from outside Iraq
a . Dr . Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
a . Dr . Muhammad Khaqani
Isfahan University / Iran
a . Dr . Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
a . Dr . Nour al-Din Abu Lihia
Batna University / Faculty of Islamic Sciences / Algeria
Proofreading
a . M . Dr. Ali Abdel Wahab Abbas
Translation
Ali Kazem Chehayeb

أولا: مسجد الكوفة المعظم:

يعد مسجد الكوفة رابع أفضل المساجد في العالم الإسلامي على الإطلاق والجدير بان تشد الرحال لإدراك فضله بعد بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف وبيت المقدس. ويذكر المؤرخون بأنه الثاني من حيث الأسبقية بالإنشاء على نطاق البلاد المحررة المتشرفة بالإسلام اذ أسس سنة ١٧ هـ في المدينة التي اتخذها الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام عاصمة لخلافته سنة (٣٦هـ) وفي الحديث ان مدينة الكوفة هي حرم الله ﷻ وحرم رسول الله ﷺ وحرم أمير المؤمنين، وفي مسجدها الكبير صلى عدد من الأنبياء والأوصياء والأولياء الصالحين.

ثانيا: دار الإمام علي عليه السلام:

يقع اللثار قرب قصر الإمارة وهو خارج مسجد الكوفة، وفي هذه الدار كان يسكن الإمام علي عليه السلام وعائلته خلال فترة خلافته عام (٣٦هـ) وبعد استشهاده غسل جسده الطاهر في هذا الدار ويوجد في يومنا هذا البئر الذي اخذ منه الماء.

ثالثا: مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام:

مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام ابن عم الإمام الحسين عليه السلام وسفيره الى أهل العراق وأول شهداء الثورة الحسينية، انتدبه عليه السلام بعد ان رأى فيه قدرا كبيرا من الشجاعة والعلم وجلالة القدر والوثاقة. مرقده الشريف الى جانب مسجد الكوفة من جهته الجنوبية الشرقية وله قبة شاهقة مذهبة وضريحه الشريف رواق يحيط به من جهات ثلاث، مزجج من الداخل بالمرايا بطريقة فنية فريدة وفي وسطه شباك لايقل عنه جمالا مطعمة زخارفه بالذهب والفضة وعتبته ذات طراز إسلامي رائع. ويضم في رواقه الداخلي مرقد المختار بن ابي عبيدة الثقفي احد الآخذين

بثار الإمام الحسين عليه السلام ولهما مدخل واحد ويقع في صحنه مرقد هانئ بن عروة شيخ مراد وزعيمها الذي استشهد مع مسلم بن عقيل عليه السلام في ٨ ذي الحجة لسنة (٦٠هـ) وللصحن ثلاث أبواب، اثنتان منهما يطلان على مسجد الكوفة والباب الأخير يؤدي الى الشارع العام[1].

رابعا: مرقد المختار بن أبي عبيد الثقفي:

وهو المختار بن أبي عبيدة بن مسعود الثقفي و(ابو عبيدة) الثقفي الصحابي وقائد معركة الجسر وهو الذي استشهد فيها وهو الذي اخذ بثار الحسين عليه السلام من الأشخاص الذين قتلوه وعلى رأسهم عبيد الله بن زياد في معركة الخازر قرب الموصل، ويقع مرقده بجوار مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام. (الشكري، ٢٠١١: ١٣٥).

خامسا: مرقد هانئ بن عروة:

ويقع هذا المرقد بجانب مسجد الكوفة ومقابل مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام وقد استشهد هانئ بن عروة في الكوفة في يوم التروية سنة (٦٠هـ) قتله عبيد الله بن زياد.(الجنابي، ٢٠١١: ٩٠).

سادسا: مرقد ميثم التمار:

صحابي جليل من حواري الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام استشهد في الكوفة يوم (٢٢/ ذي الحجة /٦٠ هـ) وقد قتل صبرا لانه رفض البراءة من الإمام والسكوت عن نشر فضائله، ودفن في موضع قرب مسجد الكوفة.

يبعد نحو (٥٠٠) متر غربا مطلا على الشارع العام (كوفة/ نجف) ولمرقده صحن واسع يمتد على مساحة (٥٣٠٠) متر تعلوه قبة زرقاء جميلة وتقع في أسفلها غرف

---

(١) (مؤتمر السياحة الاول، مجلس محافظة النجف – ٢٠٠٨ : ٢٣).

وأواوين وأروقه أعدت للزائرين.

سابعا: قبر السيدة خديجة بنت الإمام علي عليه السلام:

يقع هذا القبر مقابل مسجد الكوفة والسيدة خديجة بنت الإمام علي عليه السلام ابن أبي طالب توفيت وهي طفلة صغيرة ودفنت في هذا المكان وشيدت لها قبة زرقاء صغيرة.

ثامنا: مرقد سيد إبراهيم القمر:

هو السيد إبراهيم بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن السبط بن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لقب بالقمر لأنه كان يقمر الناس بالكرم والجود والفضل كما تجود به يداه، كما لقب بالشبيه لأنه كان أشبه الناس برسول الله ﷺ توفي بالسجن عام (١٤٥هـ) في عهد ابي جعفر المنصور العباسي ودفن في هذا الموضع. والمرقد تعلوه قبة مغطاة بالبلاط القاشاني باللون الأزرق. (الأنصاري، ٢٠٠٨: ٣٤٥).

تاسعا: مقام النبي يونس عليه السلام:

يقع المقام على ضفاف نهر الفرات (شط الكوفة) حيث ألقى الحوت جسد النبي يونس عليه السلام في هذا المكان. وفي زمن الإمام علي عليه السلام بني هذا المقام تخليدا لمقام النبي يونس عليه السلام بجوار جامع الحمراء الذي كان في عهد الإمام علي عليه السلام بيت مال المسلمين وحاليا المقام فيه تطوير وتوسيع والعمل مستمر. وهذا المقام أصبح مكان للصلاة ويزار من قبل المسلمين.

عاشرا: مسجد السهلة المعظم:

كان قديما يعرف ب (جامع البر وجامع عبد القيس وجامع بني ظفر وجامع سهيل) يقع في الجهة الشمالية الغربية من مسجد الكوفة المعظم ويبعد عنه حوالي

كيلو مترين وهو بيت النبي إدريس ﷺ ، ثم اتخذه النبي إبراهيم بيتا لما خرج للعمالقة وما نبي او وصي او صحابي الا وصلى فيه وفضيلته تأتي بعد فضيلة مسجد الكوفة المعظم، ومساحة المسجد مستطيلة طوله (١٤٠م) وعرضه (١٢٥م) أي مساحته (١٧٥٠٠) متر مربع ومدعومة بأبراج نصف دائرية ويبلغ ارتفاع السور والأبراج اكثر من (٢٣م) وفي منتصف الضلع الشرقي تقع مئذنة طويلة يبلغ ارتفاعها (٣٠م). وفي المسجد علة مقامات هي: (مقام النبي إبراهيم الخليل ﷺ ومقام النبي إدريس ﷺ ومقام الأنبياء والصالحين والمرسلين) واهم مكان اثري مهم كان قد صلى فيه الإمام الحجة ﷺ وفي المقام شباك من الفضة والقبة مكسوة بالكاشي الأزرق وقد مر المسجد بأطوار كثيرة من الترميم والتعمير والعمل مستمر لهذا اليوم. (التميمي،- ٢٠١٠: ٢٦).

المواقع السياحية غير الدينية ونوعية المنتج السياحي:

في هذه الفقرة يتم عرض لمواقع السياحة غير الدينية مع بيان طبيعة المنتج السياحي ونوعيته، حيث تزخر محافظة النجف الاشرف بحزمة متنوعة من مواقع السياحة.ومن هذه الحزمة يتم بناء القاعدة الأساس لإنتاج السياحة غير الدينية ومن اجل دمج هذه المواقع مع السياحة الدينية يتطلب الأمر بيان أهم نقاط القوة ونقاط الضعف لهذه المواقع بالشكل الذي يوضح إمكانية رفد المواقع الدينية بمواقع سياحية متنوعة دعما للمنتج السياحي بشكل عام لمحافظة النجف ومن هذه المواقع.

اولا: طارات النجف:

تعني كلمة الطارات الأراضي المرتفعة التي تطل على أراضي منخفضة جدا في منطقة بحر النجف من جهته الشرقية وتمتد من المعهد الفني جنوبا وتتجه نحو

مدينة كربلاء شمالا، وقد استعملت الكهوف الموجودة في هذه الطارات سكنا للناس في الزمان البعيد واستخدمها النساك والرهبان للتعبد في منطقة الدكاكين شمال مدينة النجف حيث تعود للقرن الرابع الهجري[٦].

وتم استعمال الطار كملفن في زمن اللخميين الذين استوطنوا الحيرة حيث عثر على كهوف (لحود) طولية في بعض المواقع من طار النجف القريبة من الحيرة تحوي على رفاة بشرية. (العطية، ٢٠٠٦: ٨١).

طارات النجف

ثانيا: بحر النجف:

منخفض طبيعي نشأ بفعل انكسار جيولوجي لطبقات الأرض الخارجية، يقع الى الغرب من مدينة النجف ويمتد امتدادا طوليا لمسافة نحو (٢٠ كم) من شمال مدينة النجف الى جنوب غربي الحيرة. أما نشأته فقد وضعت له عدة نظريات وأراء الا ان أكثرها قبولا هو نشأة المنخفض بفعل المياه الجوفية (التعرية الباطنية) ويرجع تاريخ نشوءه الى الألف الثاني قبل الميلاد ويمثل عام (١٣٠٥هـ) /(١٨٨٧م) بداية لجفاف بحر النجف.

---

(٦) (قسم سياحة النجف الاشرف، مطوي(فولدر)للمراقد الدينية والاماكن الاثرية في محافظة النجف الاشرف.

في حين يتم عرض ملاحظة الرحالة البرتغالي (تكسيرا) عام (١٦٠٥م) عن بحر النجف من قبل (الأنصاري، د- ٢٠٠٨: ٣٣١ - ٣٣٢) وكالاتي: توجد عند حافة الهضبة الصحراوية في الجنوب الغربي لمدينة النجف منخفض يسمى (بحر النجف) والواقف على رأس الهضبة يشاهد منظرا جميلا، اذ يمتد أمامه بساط من بساتين النخيل والفواكه والمزروعات على ضفتي جدول صغير كمتد من نهر (ابو صخير). ويذكر الرحالة البرتغالي (تكسيرا) الذي وصل الى النجف في (٢٣ / ربيع ثاني / ١٠١٣هـ - ١٨/ أيلول / ١٦٠٥ م) ان بحر النجف يستمد ماءه من نهر الفرات ولذلك يلاحظ ازدياد مناسيبه في مواسم الفيضانات ويقول ان البحيرة كانت شديدة الملوحة ولذلك كان يستخرج الملح الذي يباع في بقية المدن العراقية، ومع ملوحتها هذه كان يكثر فيها السمك بأنواعه المختلفة، ولهذا يسميها الناس بحيرة النجف. ثم يذكر ان مدينة النجف كانت تطل من موقعها الحالي على بحر النجف.

بحر النجف

ثالثا: شط الكوفة:

تعد الموارد المائية من الموارد الأساس لاستمرار الحياة وتطورها واعمارها، لا بل تعد العنصر الأساسي في مكونات كل المخلوقات وكما جاء في الذكر الحكيم في سورة الأنبياء الآية ٣٠ ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ان المدن التاريخية والإسلامية تزداد إمكانياتها وكذلك دورها عند امتلاكها لمصادر المياه التي تعد مصادر للحياة، وفيما يتصل بمحافظة النجف التي تركزت دراستنا عليها فان من مصادر المياه لديها والتي يعطيها القدرة على سد الاحتياجات من المياه فيما يتصل بالسكان والسياح هو نهر الفرات هذا الشريان الحيوي الذي يغذي عدد من محافظات العراق ومنها النجف ويسمى شط الكوفة.

حيث يعد شط الكوفة من النعم والمزايا الإضافية لمحافظة النجف فهو بالإضافة إلى كونه مصدر من مصادر الحصول على المياه للمحافظة فهو أيضا مصدر ترفيهي حيث يحاط بساتين النخيل والأشجار وكذلك توجد من المراكز الخدمية والترفيهية والمطاعم والمقاهي، حيث يقصده الناس خاصة في فصل الصيف ليلا الترفيه وكذلك للتمتع بالنسمات الباردة التي تهب ليلا وهم يتناولون الأطعمة والمثلجات أو ركوب القوارب. ويتميز موقع شط الكوفة بقربه من المزارات والمراقد الدينية مثل مرقد مسلم بن عقيل ﷺ وبيت الإمام علي ﷺ ومرقد ميثم التمار وكذلك مسجد السهلة، حيث يقوم العديد من الزائرين لهذه الاماكن المقدسة بالمرور على كورنيش شط الكوفة للاستمتاع بمنظره الخلاب ونسيمه البارد.

شط الكوفة

رابعا: خان الشيلان:

ان الخان تسمية تركية وتعني دار الاستراحة، شيد الخان لأسباب أهمها إيواء المسافرين القاصدين الى النجف وكربلاء لزيارة العتبات المقدسة[1]. ويقع هذا الموقع السياحي في مركز مدينة النجف وبالتحديد في احد الأطراف السكنية القديمة الرئيسة وهو طرف البراق المجاور لإعلادية الخورنق وهو ذو بناء ضخم بني في العهد العثماني ليكون دارا لضيافة الزائرين، ويتألف من طابقين مساحته (١٥٠٠) متر وارتفاعه (١٢)م ويعد رمزا للمقاومة الوطنية ضد الاحتلال البريطاني إذ احتجز فيه عشرات الأسرى الانكليز عام (١٩٢٠).

خان الشيلان من الخارج

خامسا: القنطرة الحجرية:

تقع شمال غرب مدينة الكوفة وكان اسمها (أم قرون) على طريق طوة الفحل (منطقة الزرقة) على ضفاف نهر الفرات (شط الكوفة) حيث تقع في منطقة خضراء يكثر فيها النخيل، وشيدت القنطرة على (كري سعده) وفيها أربع منارات مبنية من الطابوق.

---

(١) جريدة النجف اليوم، العدد – ١١٦، الثلاثاء ٢٥/ تشرين الاول/ ٢٠١١.

القنطرة الحجرية

سادساً: الملاعب الرياضية:

وفي الآونة الأخيرة وبعد الاستقرار والأمان الذي تشهده المحافظة، تم إقامة مجموعة من المشاريع الرياضية العملاقة والتي تنسجم مع مكانة المحافظة حيث قامت وزارة الشباب والرياضة / دائرة الشؤون الهندسية والفنية وعن طريق شركات المقاولات بإنشاء الملعب الاولمبي سعة (٣٠.٠٠٠) ثلاثين الف متفرج. ويقع مجمع ملعب النجف الاولمبي في الجهة الشمالية الغربية من مدينة النجف الاشرف وعلى طرق نجف- كربلاء قرب الخط الحولي ويبعد (٧) كم عن الحضرة الحيدرية المقدسة. ولقد تم استلهام الشكل المعماري للملعب من عمق الإرث التاريخي والديني لمدينة النجف الاشرف. ويقع مجمع ملعب النجف الاولمبي على ارض مساحتها (١٥٠.٠٠٠)م. مربع،ويحتوي على ثلاثة ملاعب وهي:الملعب الرئيسي بسعة (٣٠.٠٠٠) ثلاثين ألف متفرج، ملعب تدريب مع مضمار الألعاب بسعة (٢٠٠٠) متفرج، ملعب تدريب ثانوي بسعة (٤٠٠) متفرج.ويتضمن المشروع إنشاء أبنية خدمية مع ساحات لوقوف السيارات وساحات خضراء وطرق داخلية. تحوي أبنية الملعب الرئيسي على قاعة استقبال الشخصيات المهمة وقاعات للصحافة والبث التلفزيوني وصالات للاجتماعات والمناسبات.

سابعا: الخدمات الصحية:

ان الخدمات الصحية الساندة لعملية تنوع المنتج السياحي تتمثل في المستشفيات والمراكز العلاجية وذلك لغرض استكمال المستلزمات الضرورية لدعم تنوع المنتج السياحي لهذه المدينة المقدسة من خلال توفير العناية الصحي والعلاجية لسكانها وزوارها الكرام في الايام العادية وايام الزيارات والمناسبات الدينية. اضافة الى تفعيل السياحة العلاجية وتضم المدينة مجموعة من المستشفيات والمراكز العلاجية والتي تدار بملاكات متخصصة وكفوة وهي كالاتي:

(كتاب دائرة صحة النجف الاشرف ذي العدد ٢٢٢٥٧ في ١٤/٦/٢٠٢١).

أ- المستشفيات الحكومية:

والتي يبلغ عددها بحدود (١٠) مستشفيات حكومية متوزعة على عموم المحافظة.

ب- المستشفيات الأهلية:

والتي يبلغ عددها تقريبا (٩) مستشفيات اهلية.

ثامنا: مكاتب مراجع الدين الكرام:

حيث تضم المدينة مكاتب مراجع الدين العظام والتي تعد مرجعا رئيسا لملايين المسلمين في العالم.

تاسعا: المراكز الثقافية

من المزايا الإضافية المتنوعة التي تتميز بها محافظة النجف الاشرف هي الميزة الثقافية وبسبب مكانتها الدينية أصبحت مركز للثقافة والعلوم ووجود الجامعات مثل جامعة الكوفة المرموقة وكذلك الجامعات الأهلية والمدارس الدينية والتي

يؤمها كثير من الطلبة والمثقفين والباحثين والذي نتج عن ذلك كثرة المكتبات الزاخرة بالأنواع المتنوعة والنادرة من الكتب، ونذكر بعض من هذه المكتبات:

١- المكتبة المركزية العامة في منطقة خان المخضر أسست سنة (١٩٦٣) وهي مكتبة حكومية.

٢ – مكتبة الكوفة العامة وهي حكومية وتقع على الشارع العام (كوفة – نجف) أسست سنة(١٩٦١).

٣- المكتبة المركزية لجامعة الكوفة ضمن المدينة الجامعية.

٤- مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في منطقة الحويش أسسها المرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني صاحب (موسوعة الغدير) سنة (١٩٥٣).

٥ – مكتبة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في منطقة العمارة.

٦ – مكتبة السيد الحكيم العامة قرب مسجد الهندي، أسسها السيد محسن الحكيم سنة (١٩٥٨).

٧- مكتبة ال حنوش في شارع الرسول أسسها الحاج كاظم ال حنوش سنة (١٩٥١).

٨- مكتبة الروضة الحيدرية المطهرة.

ان هذا العرض من المكتبات ليس للحصر حيث توجد الكثير منها ولكن أراد الباحث ان يبين قدم هذه المكتبات والتي تؤكد الميزة الثقافية لهذه المدينة.

عاشرا: أسواق النجف التجارية:

تمتلك المدينة مجموعة متنوعة من الأسواق الزاخرة بالسلع والبضائع ومن مناشئ متنوعة ومن هذه الأسواق السوق الكبير وهو السوق الرئيس للمدينة

ويكون بابه مقابل لباب الحرم العلوي المطهر ويضم هذا السوق مختلف المحال التجارية والتي تتعامل بالذهب والملابس والأقمشة والعطور والكماليات ويتفرع منه عدة تفرعات.

السوق الكبير

حادي عشر: كثرة المناسبات الدينية:

اذ تتعدد وتتنوع المناسبات الدينية والزيارات المليونية على مدار السنة.

ثاني عشر: مطار النجف الدولي:

وجود مطار النجف الدولي ودوره الكبير في اختصار الزمن وتوفير الراحة للسائحين.

ويتصل بذلك شبكة الطيران المدني بين المواقع السياحية الأساس، وفي هذا الصدد تم التركيز على نقطة الانطلاق نحو محافظة النجف الاشرف لمكانة المدينة الكبيرة في نفوس المسلمين في شتى بقاع الأرض وتشوقهم لزيارة مرقد الإمام علي عليه السلام وقد تم اختصار الأوقات عن طريق إنشاء مطار النجف الدولي الذي يعد نقلة نوعية في مجال النقل في المحافظة والذي بدوره ادى الى زيادة الوافدين الى المحافظة عن طريق الجو.

اذ ان مطار النجف الدولي على الرغم من حداثته ودخوله القريب في السوق يأتي بالمرتبة الثانية بعد مطار بغداد الدولي والذي هو المطار الرئيس في العراق، كما نرى بان مطار النجف الدولي قد تقدم على مطاري الموصل والبصرة واللذين يسبقانه بعشرات السنين في دخولهم سوق النقل الجوي. ان هذه البداية القوية والواعدة لمطار النجف تظهر لنا نجاح هذه الخطوة المستمدة من قوة المكانة والإمكانيات التي تتمتع بها محافظة النجف والتي تجعل أكثر المشاريع المتعلقة بها والمدروسة بشكل صحيح هي مشاريع ناجحة ومربحة.

طائرة للخطوط الجوية العراقية
في مطار النجف الدولي

ثالث عشر: خدمات الإيواء السياحي:

تعد خدمات الإيواء السياحي من الخدمات الضرورية والمستلزمات الأساس للسياحة ودعم تنوع المنتج السياحي وان هذه الخدمات تحوي على حجم عمالة كبير ونشاط اقتصادي واسع وان تطور السياحة مرهون ليس فقط بتطوير المواقع السياحية وإنما أيضا بتطوير خدمات الإيواء السياحي.

ان محافظة النجف الاشرف وخصوصيتها وقداستها الدينية كانت وجهة لكم هائل من السائحين منذ القدم وحتى وقتنا الحاضر، ولذلك فقد دعت الحاجة

بالمقابل الى توفير الفنادق وتطوير خدماتها وزيادة طاقاتها الاستيعابية.

مطاعم ومدن العاب وشركات سياحية وغيرها وكما يلي (وكتاب هيئة السياحة / دائرة التفتيش والمتابعة / قسم سياحة النجف الأشرف ذي العدد ٥/٦٢٧ في ١٣/٦/٢٠٢١):

أ- ٢٧٧ فندق بواقع (١٤ فندق درجة أولى، ٩٢ فندق درجة ثانية، ١١٦ فندق درجة ثالثة، ٥٥ فندق درجة رابعة).

ب- مطاعم بعدد ٢٥ مطعم.

ت- مدن العاب بعدد ٢.

ث- مقاهي بعدد ١٥ وقاعات بعدد ٩.

ج- شركات السفر والسياحة بعدد ٩٤ شركة مسجلة.

رابع عشر: مدينة العاب السلام الترفيهية.

وهي مدينة العاب تتوسط مدينة النجف الاشرفويقصدها الكثير من ابناءالمحافظة.

التحديات التي تواجه السياحة الدينية في النجف الاشرف:

مشاكل المدينة القديمة:

ان توافد الأفواج السياحية بشكل مكثف ومتداخل انعكس ذلك على سكان المدينة القديمة سلبا وبالذات على الأطراف القديمة (الخويش العمارة، المشراق، البراق) وهذه المشاكل هي:

١- مشكلة الحركة داخل المدينة القديمة

٢- مشكلة التنظيف والخدمات

٣- مشكلة الدخول والخروج من المدينة

٤- مشكلة المناسبات الدينية المليونية

مشكلة هيمنة الفنادق على البيوت السكنية.

النمو العشوائي وغير المخطط بشكل علمي ومدروس لكثير من المراكز وأنشطة الخدمات السياحية وخاصة في المدينة القديمة.

افتقار المدينة إلى وجود مرآب للمركبات التي تسد احتياجاتها وتخفف الازدحام المروري (الياسري والنجم، ص١٠٢ - ٢٠٢٢)

ضعف البنى التحتية:

التي يحتاجها القطاع السياحي خصوصا اذا ما تم مقارنتها بالدول المجاورة.

تواتي الأزمات السياسية والامنية:

تعد من العوامل المضرة بالسياحة فمن اهداف السائح من رحلته هو الراحة والامان والاستجمام.

ضعف مستوى الخدمات الصحية خصوصا عند انتشار الامراض الوبائية والفايروسية مثل (فيروس كورونا) يؤثر بشكل كبير على النشاط السياحي.

المصادر

المصادر العربية:

١. رسالة ماجستير "السياحة الدينية المستدامة ودورها في دعم تنوع المنتج السياحي" للدكتور احمد مكي نجيد العطية، ٢٠١٢م، العراق.

٢. الياسري، فهد والنجم،احمد(٢٠٢٢) "التوجهات المستقبلية لتنمية وتخطيط الخدمات السياحية في مدينة النجف والكوفة العدد ٦٤ ج٢ آذار/٢٠٢٢"، كلية الآداب – جامعة الكوفة.

٣. الحلبي، ابراهيم اسماعيل (٢٠١٠) "ادارة التسويق السياحي"، دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط١.

٤. مقابلة، احمد محمود(٢٠٠٧) "صناعة السياحة"، دار كنوز المعرفة، عمان، الاردن.

٥. الجنابي، سجاد محمد عطية (٢٠١١) "استراتيجيات مزيج الترويج السياحي ودورها في جذب الزبون الدولي: دراسة تطبيقية على قطاع السياحة الدينية في العراق (٢٠٠٣-٢٠١٠)" رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة.

٦. عبد الله، محمد فريد (٢٠٠٦) "التخطيط السياحي واقاق السياحة المستدامة" دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١.

٧. بظاظو، ابراهيم خليل(٢٠١٠) "الجغرافية السياحية" تطبيقات على الوطن العربي"، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن. الطبعة الاولى

٨. حسن، قادة صالح (٢٠٠٨) "اقتصاديات السياحة"، دار الوفاء الدنيا للطباعة والنشر الاسكندرية، مصر، ط١.

٩. الشكري، بشرى شاكر عبد الحسين (٢٠١١) "اثر عوامل النجاح الحرجة لادارة الجودة الشاملة والمزيج التسويقي السياحي في تحسين جودة منتج السياحة الدينية: دراسة تحليلية في قطاع السياحة الدينية في النجف" رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الكوفة.

١٠. قسم سياحة النجف – مطوي (فولدر) للمراقد الدينية والأماكن الأثرية في محافظة النجف الاشرف.

١١. مؤتمر السياحة الأول، مجلس محافظة النجف –(٢٠٠٨:١٣).

١٢. جريدة النجف اليوم، العدد –١١٦، الثلاثاء ٢٥ / تشرين أول / ٢٠١١).

١٣. الدراسة المسحية السكانية لواقع مدينة النجف الاشرف في ظل السياحة الدينية المعدة من قبل المكتب الاستشاري لكلية الادارة والاقتصاد لحساب شركة ديوان للهندسة المعمارية – ٢٠١٠.

المصادر الاجنبية:

١. ENE ،SEBASTIAN and BARAITARU (٢٠١٠) "Sustainable Development Strategies in Domestic and International ،Tourism" European Journal of Interdisciplinary Studies Issue ٣ ♦ December ٢٠١٠.

٢. Moscardo ،Gianna(١٩٩٨) "Inter pretation and Sustainable Tourism Functions Examples and Principles "The Journal MAY ١٩٩٨. ،No.١ ،vol.٩ ،of Tourism Studies

٣. Shani ،Amir and et al (٢٠٠٧) ،S ." TO BRING GOD WORD TO ALL PEOPLE TOURIS "The caseof a religious ،theme – site ،٤٨-٦ ،UDC ٢٢٨. ٣٩-٥٠ No ١// VOL.٥٥.

المواقع الالكترونية:

١- http://www.webometrics.info/rank_by_country.asp?co
untry=iq
٢- http://www. najaf –mc.com.
https://www.alaraby.co.uk/economy/

توصيات الندوة

١. قيام دوائر وزارة السياحة بأخذ المكانة والدور الرسمي والمدعوم من قبل الوزارة بالسيطرة على هذ المجال وعلم السماح للجهات الأخرى بالتدخل والتأثير على القرارات الخاصة بهذا القطاع.

٢. منع تداخل الصلاحيات وتحديد المسؤولية لإدارة المراكز المعنية (اما على دوائر السياحة والآثار او دوائر الأوقاف او دوائر البلدية).

٣. الارتقاء بمستوى العاملين عن طريق إقامة الدورات التدريبية والتعريفية بصورة دورية للعاملين في مجال السياحة لغرض زيادة الخبرة والوعي السياحي للعاملين.

٤. تنظيم عملية إنشاء الفنادق وخاصة في المدينة القديمة مع الأخذ بالحسبان الازدحام والاختناقات المرورية نتيجة وقوف الباصات السياحية في الشوارع الداخلية للمدينة القديمة.

٥. زيادة النشاط الترويجي بمختلف وسائله وخاصة الإعلان المصور في القنوات الفضائية لبيان تنوع المنتج السياحي في منطقة الدراسة.

٦. بيان الدور المهم لقطاع السياحة ولاسيما من الجانب الاقتصادي وما توفره من مردودات للإسهام في تنمية البلد وفتح مجالات عمل وبطريقة تبين ان كل عدد من السائحين يقابله اشتغال عدد من العاطلين وبالتالي سوف يؤدي ذلك الى زيادة الوعي لدى السكان والتفاعل الايجابي مع العملية بالكامل.

٧. تنظيم عمل الباعة المتجولين وإعطائهم باجات خاصة بعد الحصول منهم على بياناتهم الشخصية المعتمدة وذلك لغرض السيطرة على بعض حالات

التجاوز على السائحين من قبلهم ولاسيما قبل طلوع الفجر (وقت صلاة الفجر).

٨. الاهتمام بالنظافة وزيادة المساحات الخضراء قرب الأماكن المقدسة وكذلك زيادة عدد مواقف الحافلات السياحية.

٩. تطعيم برامج السياحة الدينية بالمنتجات السياحية المتنوعة من اثارية وثقافية وترفيهية لغرض تنشيط الأنواع المختلفة من المنتجات السياحية غير الدينية وذلك عن طريق وسائل الترويج المختلفة وكذلك عن طريق الدوائر السياحية الرسمية.

١٠. توظيف نشاط طلبة المدارس والجامعات في تنشيط المنتجات السياحية المتنوعة من خلال التعاون والتنسيق بين إدارات الدوائر ذات العلاقة وبالتالي تكوين قاعدة للثقافة السياحية لدى الطلبة.

١١. استثمار فرصة الطلب السياحي الجديد الناتج عن عزوف السائحين ولاسيما الخليجيين عن التوجه الى المواقع السياحية في بلدان المنطقة التي تمر بظروف سياسية واقتصادية وامنية متدهورة.

١٢. اشراك القطاع الخاص السياحي في عملية التخطيط واتخاذ القرار.

١٣. الاهتمام بالمتاحف والدور التراثية والفلكلورية المستمد من الموروث الثقافي لمدينة النجف الاشرف.

١٤. اقامة المهرجانات الثقافية والدينية للتعريف بالمدينة باعتبارها حاضرة المرجعية الدينية.

١٥. انشاء سكة حديد بين محافظتي النجف وكربلاء لتسهيل نقل الزوار في

الزيارات المخصوصة والاستفادة منه في الايام العادية من خلال سياحة الملازس.

١٦. التوسع في توظيف خريجي الاقسام السياحية الاكاديمية في القطاع السياحي.

١٧. التوصية بتوسيع النشاط السياحي وتنوع المستهلك السياحي (علم الاقتصار على السائح الايراني).

١٨. اعتماد منهج متواصل في تقويم واقع الحال بشكل شهري او فصلي او سنوي من قبل متخذي القرار في النشاط السياحي من اجل الوقوف على واقع البيئة الداخلية لهذا النشاط وتحديد نقاط الضعف سواء كان ذلك في خدمات الايواء او الخدمات الصحية او البلدية والعمل على تطوير وتنمية مهارات العاملين في المواقع السياحية كافة سواء كانت دينية او غير دينية مع الحد من المؤثرات الخارجية السلبية وذلك لتلبية رغبات السائح وبالتالي تحقيق التنوع في المنتج السياحي المتكامل.

١٩. فتح باب الاستثمار لزيادة عدد المشاريع الفندقية والخدمية و كل ما يتعلق بالسياحات الاخرى.

٢٠. القيام بالاتفاقيات ومذكرات التفاهم الدولية لغرض التنسيق مع الدول المجاورة لتسهيل إجراءات دخول السائحين الى العراق وفق منهج متتابع وميرمج دون خلق الأزمات في الحصول على الخدمات الأساسية.

٢١. عدم إغفال شريحة الأطفال الذين تم اصطحابهم من قبل عوائلهم الوافدة الى العراق لغرض الزيارة وذلك بوصفهم عاملا مؤثرا على تنوع المنتج السياحي من خلال توفير متطلبات هذه الشريحة.

المحتويات

التوجهات المستقبلية لتطوير خدمات السياحة الدينية في محافظة النجف الاشرف ٧

١- خدمات الفنادق السياحية: ٨

٢-خدمات النقل الجوي: ١١

تقدير الحاجة الى تطوير خدمات السياحة الدينية ١٨

١- الفنادق الخضراء (الفنادق الصديقة للبيئة): ١٨

٢- تطوير خدمات المطاعم السياحية: ٢٣

٣-تطوير خدمات شركات السياحة والسفر: ٢٤

٤-تطوير خدمات النقل السياحي: ٢٥

أ- تطوير خدمات شبكة النقل الداخلية: ٢٦

ب- تطوير خدمات شبكة النقل الخارجية: ٢٨

١-محور المحافظات الشمالية: ٢٩

٢-محور المحافظات الجنوبية: ٢٩

٣-محور الاقضية والنواحي: ٢٩

خدمات الامن السياحي (الشرطة السياحية): ٣٠

المنطقة الاولى كورنيش شط الكوفة: ٣٢

الموقع الجغرافي للخدمات السياحية: ٣٣

خدمات البنى التحتية: ٣٤

المنطقة الثانية منخفض بحر النجف: ٣٤

نظرة على السياحة الدينية في محافظة النجف الاشرف ٤٣

المقدمة: ٤٣

تعريف السياحة: ٤٤

تعريف السائح: ٤٥

اهمية السياحة: ٤٥
وفيما يلي بعض الارقام الخاصة بالنشاط السياحي لبعض الدول والتي تبين اهمية السياحة الاقتصادية: ٤٧
في مصر: ٤٧
اما في الاردن: ٤٨
كذلك الحال في تركيا: ٤٨
السياحة المستدامة: ٤٩
تعريف السياحة المستدامة: ٤٩
المعارضات الداعمة لاستدامة البيئة السياحية: ٥٢
تأسيسا على ما تقدم: ٥٣
خصائص المنتج السياحي: ٥٣
السياحة الدينية: ٥٤
العوامل الايجابية التي يمكن استغلالها للسياحة الدينية في محافظة النجف الاشرف: ٥٥
أولا: الروضة الحيدرية المقدسة ومرقد الإمام علي عليه السلام: ٥٦
ثانيا: مرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام: ٥٦
١- النبي هود عليه السلام: ٥٦
٢- النبي صالح عليه السلام: ٥٧
ثالثا: مسجد الخانة: ٥٧
رابعاً: مرقد كميل بن زياد: ٥٧
خامسا: مقام الإمام زين العابدين عليه السلام: ٥٧
سادسا: مقام الإمام المهدي عليه السلام: ٥٨
سابعا: مقبرة النجف: ٥٨
المواقع السياحية الدينية في مدينة الكوفة: ٥٩
أولا: مسجد الكوفة المعظم: ٦٠

ثانيا: دار الإمام علي عليه السلام: ٦٠
ثالثا: مرقد مسلم بن عقيل عليه السلام: ٦٠
رابعا: مرقد المختار بن أبي عبيد الثقفي: ٦١
خامسا: مرقد هانئ بن عروة: ٦١
سادسا: مرقد ميثم التمار: ٦١
سابعا: قبر السيدة خديجة بنت الإمام علي عليه السلام: ٦٢
ثامنا: مرقد سيد إبراهيم العمر: ٦٢
تاسعا: مقام النبي يونس عليه السلام: ٦٢
عاشرا: مسجد السهلة المعظم: ٦٢
المواقع السياحية غير الدينية ونوعية المنتج السياحي: ٦٣
اولا: طارات النجف: ٦٣
ثانيا: بحر النجف: ٦٤
ثالثا: شط الكوفة: ٦٥
رابعا: خان الشيلان: ٦٧
خامسا: القنطرة الحجرية: ٦٧
سادسا: الملاعب الرياضية: ٦٨
سابعا: الخدمات الصحية: ٦٩
أ-المستشفيات الحكومية: ٦٩
ب-المستشفيات الأهلية: ٦٩
ثامنا: مكاتب مراجع الدين الكرام: ٦٩
تاسعا: المراكز الثقافية ٦٩
عاشرا: أسواق النجف التجارية: ٧٠
حادي عشر: كثرة المناسبات الدينية: ٧١
ثاني عشر: مطار النجف الدولي: ٧١
ثالث عشر: خدمات الإيواء السياحي: ٧٢

رابع عشر: مدينة العلم السلام الترفيهية ٧٣
التهديدات التي تواجه السياحة الدينية في النجف الاشرف: ٧٣
مشاكل المدينة القديمة: ٧٣
ضعف البنى التحتية: ٧٤
توالي الازمات السياسية والامنية: ٧٤
المصادر ٧٥
المصادر العربية: ٧٥
المصادر الاجنبية: ٧٦
المواقع الالكترونية: ٧٧
توصيات الندوة ٧٨
المحتويات ٨١

من أمرهم ما قدّمناه، فلمّا لم ينهض أمره ذهب إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله ﷺ، وكان أبو عامر على دين هرقل ممّن تنصّر معهم من العرب وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا، فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كل حين، فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة وباطنه دار حرب ومقرّ لمن يفد من عند أبي عامر الراهب، ومجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين[1].

وكلامه بيّن لنا بوضوح خطورة هذا العمل الذي قاموا به، إلّا أنّ الغريب هو إصرار المؤرّخين على إلصاق هذه القضيّة بـ(أبو عامر الراهب[2]) وحصرها في جماعته مع أنّه قد ابتعد عن مسرح الأحداث منذ غزوة أحد ولم يكن له أيّ ذكر فيها طيلة هذه السنوات، فما الذي أعاده إلى مسرح الأحداث مجدّدا؟! وهل كان له دور فعلا في قضيّة بناء مسجد ضرار؟

إنّ القدر المتيقّن ممّا سبق وجود مراسلات بين أشخاص في بلاد الروم وآخرين من المنافقين في المدينة المنوّرة، لا يمكننا الجزم بهذه الأسماء المذكورة لكنّ المهمّ بالنسبة إلينا هو إثبات وجود حركة نفاق في المدينة لها ارتباط وثيق بجهات أجنبيّة متمثّلة في بلاد الروم، و الهدف الأوّل لهذه الحركة هو تحريك

---

(١) البداية والنهاية ٥/٢٧.

(٢) قال المقريزي في إمتاع الأسماع ١٤/٣٥٩: وأبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن نعمان بن ضبيعة بن زيد، وقيل: هو أبو عامر عمر بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف من الأوس، وقال مكي: أصله من الروم، كان يناظر أهل الكتاب، ويميل إلى النصرانية، ويتبع الرهبانية ويألفهم، ويكثر الشخوص إلى الشام، فسمّي الراهب، فلمّا ظهر أمر رسول الله ﷺ حسده، ففرّ إلى مكة وقاتل مع قريش يوم أحد، فسمّاه رسول الله ﷺ أبا عامر الفاسق، فلما فتحت مكّة لحق بهرقل هاربا إلى الروم بالشام فمات هناك.

الجبهة الداخليّة قبل معركة تبوك، ولذلك نجد أنّ أصحاب هذا المسجد قد طلبوا من رسول الله ﷺ أن يصلّي فيه قبل خروجه، وفي هذا يقول ابن كثير:...فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلّي في مسجدهم ليحتجّوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنّهم إنّما بنوه للضعفاء منهم وأهل العلّة في الليلة الشاتية[1].

وإصرارهم على صلاته في المسجد الجديد دليل على أنّ القوم يريدون اكتساب الشرعيّة تمهيدا لما سيأتي في المستقبل القريب، ومن هنا أعرض النبي ﷺ عن هذا الفعل وأجّله لما بعد تبوك حيث ستفتح الملفّات وتنكشف كلّ الأوراق.

ولم تكن هذه المرّة الأولى التي يتمّ التنسيق فيها بين العرب والروم، فقد نقلت كتب السير[2] أنّ الحارث بن أبي شمر ملك الغساسنة قد أهدى سيوفا لصنم قبيلة طيء المعروف بـ"الفلس" رغم أنّ هذا الملك كان نصرانيّا لا وثنيّا، ولذلك أرسل النبي ﷺ سريّة لطيء لمنع تحالفهم مع الروم بحيث يكونون كالخنجر في خاصرة المسلمين، قال ابن سعد: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا ومعه راية سوداء ولواء أبيض إلى الفلس ليهدمه، فشنّوا الغارة على محلّة آل حاتم مع الفجر

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٠٢/٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٢١٨/٦.

فهدموا الفلس وخربوه[١].

فكان لهدم هذا الصنم رمزيّة كبيرة تتمثّل في إثبات يقظة النبي ﷺ وإحاطته بكلّ ما يحاك ضدّ دولته الفتيّة، والضرب بيد من حديد لمنع أيّ صورة من صور هذا التعاون الخطير الذي لو تمّ سيتحوّل إلى وبال على المسلمين، والأهمّ من هذا هو نصّ المؤرّخين على أنّ هذه الغزوة لم ينتدب لها النبي ﷺ أحدا من المهاجرين، وستعلم سبب ذلك لاحقا، قال القاضي ابن حزم: بعث رسول الله ﷺ عليا عليه السلام في خمسين ومائة رجل على مائة بعير وخمسين فرسا وليس في السرية إلّا أنصاري، فيها وجوه الأوس والخزرج[٢].

الأمر الثاني: كان الغرض من الإشاعة التي روّجوها بالتعاون مع الروم - المتمثّلة في اجتماع جيوش هرقل على حدود الدولة الإسلاميّة[٣]- هو تفريغ المدينة من كلّ خلّص أتباع النبي ﷺ، بل تفريغها من كلّ مقاتل يمكن أن يحمل السيف دفاعا عنها، إذ أنّ الدعاية التي نشروها حول عدد جيوش الروم واستعداداتهم للغزو كفيلة بعدم بقاء أيّ أحد من المؤمنين في المدينة المنوّرة.

وقد سايرهم النبي ﷺ في هذا الأمر أيضا، فأعلن النفير العام ودعا أصحابه إلى الاستعداد للخروج إلى تبوك لمواجهة الروم، ومن هنا ظنّ القوم أنّ خطّتهم تسير كما هو متوقّع، فكلّ الصحابة الكرام سيخرجون من المدينة ولن يبق فيها أحد من الذين يشكّلون خطرا.

---

(١) الطبقات الكبرى ٢/١٦٤.

(٢) المغازي ٢/٩٨٤.

(٣) الطبقات الكبرى ٢/١٦٥.

الأمر الثالث: بمجرّد بداية معسكر تبوك، تعذّر مجموعة من الصحابة عن المشاركة في هذه الغزوة، وهؤلاء ليسوا فئة واحدة بل فئات مختلفة فصّل في أمرهم القرآن الكريم، بل إنّ أغلب آيات سورة التوبة تتحدّث عن أعذار هؤلاء الذين تخلّفوا عن غزوة تبوك ممّا يوحي بخطورة الموقف.

فمن المتخلّفين بعض الأفراد مثل "الجدّ بن القيس" الذي قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، أو تأذن لي ولا تفتنّي؟ فوالله لقد عرف قومي أنّه ما من رجل بأشدّ عجبا بالنساء منّي، وإنّي أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، وقال: قد أذنت لك[1]؛ ونزل فيه قوله تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾، أو مثلا الثلاثة الذي خلّفوا ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾، قال ابن إسحاق: ثم استتبّ برسول الله ﷺ سفره، وأجمع السير، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النيّة عن رسول الله ﷺ، حتى تخلّفوا عنه، عن غير شك ولا ارتياب، منهم: كعب بن مالك بن أبي كعب، أخو بني سلمة، ومرارة بن الربيع، أخو بني عمرو بن عوف، وهلال بن أمية، أخو بني واقف، وأبو خيثمة، أخو بني سالم بن عوف وكانوا نفر صدق، لا يتهمون في إسلامهم[2].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٦.

إلّا أنّ مثل هذه الحالات الفرديّة لا تهمّنا في هذا البحث بل المهمّ بالنسبة إلينا الجماعات التي تخلّفت:

الأولى: هم الذين عرفوا بـ(المعذّرون من الأعراب)، وهم جماعة من أعراب المدينة جاؤوا النبي ﷺ وطلبوا منه الرخصة في عدم الخروج لجهاد الروم، قال ابن اسحاق: وجاءه المعذّرون من الأعراب، فاعتذروا إليه، فلم يعذرهم الله تعالى وقد ذكر لي أنّهم نفر من غفار[١].

الثانية: هم المنافقون من أهل المدينة الذين انسحبوا من الجيش بعد أن اطمأنّوا بتحرّكه إلى تبوك، قال ابن إسحاق: فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن أبي، فيمن تخلّف من المنافقين وأهل الريب[٢].

الثالثة: هي الفئة المحرّكة لكلّ هؤلاء وهي التي كانت تثبّطهم وتدفعهم للاعتذار وعدم الخروج للقتال، وقد نقلوا أنّ هذه الفئة كان لها وكر يجتمعون فيه وهو بيت سويلم اليهودي، قال ابن هشام: بلغ رسول الله ﷺ، أنّ ناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، وكان بيته عند جاسوم، يثبّطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك[٣].

وبحسب التحليل المنطقي يمكن تلخيص خطّة هؤلاء في هذه النقاط:

١- بثّ إشاعة حول استعداد الروم لغزو المسلمين

٢- خروج جيش المدينة مع النبي محمد ﷺ لملاقاتهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٦.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٤.

٣- إحداث الفرقة في الجيش وإثارة السخط العام

٤- بقاء أصحاب الخطّة في المدينة تحت أعذار مختلفة

٥- التأكّد من مسير الجيش إلى تبوك

ومع نجاح هذه الخطوات فإنّ المدينة مركز الدولة الإسلاميّة ستكون في متناولهم بحيث يستطيعون السيطرة عليها بسهولة والانقلاب على النبي محمد ﷺ وبالتالي سقوط دولته وانتقال الحكم إليهم، كلّ هذا بمساعدة هرقل الروم وبعض اليهود الحاقدين على الإسلام، وهذا ما يفسّر لنا اهتمام القرآن الكبير بهذه الغزوة، وشدّة تقريعه للمنافقين والمتخلّفين بل وتبشيرهم بالنار والعذاب الأبدي إذ أنّ خيوط المؤامرة مشتركة بين الروم النصارى وبقايا يهود المدينة و"حزب النفاق".

الفشل الذريع:

وكما يقال تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فإنّ تخطيط المنافقين ذهب أدراج الرياح وفشلوا فشلا ذريعا في سيطرتهم على المدينة وتحقيقهم لأهدافهم، فكلّ ما فعلوه انقلب عليهم وافتضح أمرهم وانكشفت خباياهم لعامّة الناس.

وأسباب هذا الفشل ترجع إلى السياسة المحنّكة التي تعامل بها رسول الله ﷺ معهم حيث سايرهم في كلّ ما أشاعوه بحيث صدّقوا أنّهم استطاعوا خداعه والحال أنّهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾، إذ أنّ إعلان النفير من النبي ﷺ وجمع الجيش في الجرف والتوجّه إلى تبوك لم يكن

إلّا لفضح أعداء الداخل، وإلّا من يقرأ السيرة الحربيّة للنبي ﷺ يجد أنّه كان يرصد تحرّكات الفرس والروم بدقّة ولذلك لم يباغت في أيّ معركة من المعارك التي خاضها.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة وتركها لهم فأيقنوا أنّه النصر، إذ أنّ والي المدينة الذي استخلفه عليها هو "محمد بن مسلمة"، ولم يكن هذا الوالي من الذين يخاف منهم، لكن حصل ما بعثر أوراقهم وأرجعهم لنقطة الصفر وغيّر موازين القوى: ففي اللحظة الأخيرة ولأوّل مرّة تخلّف علي بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله ﷺ والبطل المجرّب في الحروب عن هذه الغزوة لا لعذر منه، بل لمهمّة رسميّة كلفّه بها النبي محمد ﷺ وهي البقاء في المدينة وحمايتها من غدر الأعداء!

وقد كان هذا الأمر بمثابة الصدمة القويّة للمنافقين الذين علموا أنّ بقاء عليّ عليه السلام بالمدينة يعني فشل خطّتهم، فهو فارس ضرغام لا يقدرون على مواجهة سيفه وإن كانوا كثرا لشجاعته وشدّة بأسه وتفانيه في نصرة الإسلام، خصوصا وأنّ خطّتهم المرسومة تقضي بالسيطرة على المدينة دون مقاومة أو مواجهة من الداخل بل كانت الفكرة هي الاستعداد لمنع الجيش الذي خرج منها من الرجوع إليها، وبقاء شخص مثل علي بن أبي طالب عليه السلام سيمنع من تنفيذ المخطّط بسرعة ممّا قد يعجّل بعودة الجيش السائر إلى تبوك قبل الاستعداد لمواجهته!

ومن هنا فقد حاول القوم ثنيه عن البقاء وحثّه على الخروج بالطعن فيه أو على الأقل العمل على تحطيم الجانب النفسي فيه وذلك بالترويج إلى أنّ النبي ﷺ إنّما تركه كرها لخروجه، قال ابن هشام: وخلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه

إلّا استثقالا له وتخفّفا منه، فلمّا قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب عليه السلام سلاحه، ثم خرج حتّى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نازل بالجرف، فقال: يا نبيّ الله، زعم المنافقون أنّك إنّما خلّفتني أنّك استثقلتني وتخفّفت منّي، فقال: كذبوا، ولكنّني خلّفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى يا علي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي، فرجع عليّ إلى المدينة، ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله على سفره[1].

وهذا الإعلان النبويّ له دلالة رمزيّة كبيرة جدّا، إذ أنّ في تشبيه علي بن أبي طالب بهارون عليه السلام إشارة صريحة إلى عظم المهمّة التي وكّل بها وهي الحذر من بقيّة قومه الذين يسعون للانقلاب، فكما استغلّ قوم موسى غيابه للانقلاب على هارون وعبادة العجل فكذلك كان المراد من غزوة تبوك تحقيق مثل هذا الانقلاب الذي اكتملت كلّ أركانه، وفي هذا الحديث دلالة على أهميّة دور علي عليه السلام في المستقبل القريب[2] لاسيما ماورد في بعض طرق الحديث من قول النبي صلى الله عليه وآله: إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك[3]، والأخطر منه قوله صلى الله عليه وآله: إنّه لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي[4].

---

(١) سيرة ابن هشام ٤/٩١٦.

(٢) هذا الحديث يسمّى بحديث المنزلة وهو متواتر كما نصّ على ذلك جملة من الحفّاظ، لكنّ العجيب أنّ أحمد بن حنبل كان ينهى عن السؤال عن هذا الخبر ويمنع من ذلك (السنة للخلال ٣٤٧).

(٣) المستدرك على الصحيحين ٢/٣٣٧؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣/١٣٤؛ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقد حققت الحديث سندا ومتنا في كتابي (مبيت علي عليه السلام ليلة الهجرة) فليراجع هناك.

مؤامرة الاغتيال

إنّ فشل الخطّة السابقة كانت بمثابة الكارثة بالنسبة للمنافقين، لأنّ رجوع علي بن أبي طالب ﷺ للمدينة يعني افتضاح أمرهم وانكشافهم للكلّ لاسيما عند النبي ﷺ، وقد تقدّم أنّ رؤوس النفاق كانوا من علية القوم وبلغ منهم التخفّي وإتقان الدور إلى حدّ أنّهم ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فهؤلاء كانوا يتحكّمون في مجريات الأحداث لكن من خلف الكواليس دون أن يشعر بهم أحد، وسقوط هذا المخطّط يعني قرب سقوط أقنعتهم ومعرفة الناس بحقيقة أمرهم، إذ تبيّن بما لا يدع مجالا للشك أنّ النبي ﷺ مطّلع على كلّ كبيرة وصغيرة من تحرّكاتهم، وأنّ خروجه لتبوك لم يكن إلّا مجرّد طعم أراد أن يبتلعوه ليتمكّن من إظهار أمرهم للناس!

ومن هنا فإنّ الرجوع للمدينة يعني الفضيحة الكبرى لهم ونهاية مسلسل أحلامهم الذي بدأ منذ الأيّام الأولى للبعثة النبويّة، وقد أشار القرآن لهذا الهاجس الذي يعيشونه بقوله: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فبدأوا التحضير لخطّة بديلة تضمن عدم حصول هذه الفضيحة الكبرى، وكانت النتيجة أنّهم اتخذوا قرارا نهائيا بتصفية رسول الله ﷺ والتخلّص منه، وبالتالي تجنّب الفضيحة والحفاظ على المكانة الكبيرة بين المسلمين والتي تضمن انتقال السلطة إليهم دون صعوبات.

قصّة العقبة[١]:

روت كتب السيرة والتاريخ هذه القصّة مع تفاوت في التفاصيل، وأفضل نقل جامع لها ما نقله الصالحي الشامي في سيرته، قال: روى الإمام أحمد عن أبي الطفيل، والبيهقي عن حذيفة، وابن سعد عن جبير بن مطعم، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحّاك، والبيهقي عن عروة، والبيهقي عن ابن إسحاق، ومحمد بن عمر عن شيوخه رحمهم الله تعالى: أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان ببعض الطريق مكر به ناس من المنافقين وائتمروا بينهم أن يطرحوه من عقبة في الطريق، وفي رواية كانوا قد أجمعوا أن يقتلوا رسول الله ﷺ فجعلوا يلتمسون غرّته، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يسلك العقبة، أرادوا أن يسلكوها معه، وقالوا: إذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي، فأخبر الله تعالى رسوله بمكرهم، فلمّا بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة نادى مناديه للناس: إنّ رسول الله ﷺ أخذ العقبة فلا يأخذها أحد واسلكوا بطن الوادي فإنّه أسهل لكم وأوسع، فسلك الناس بطن الوادي إلّا النفر الذين مكروا برسول الله ﷺ لما سمعوا ذلك استعدّوا وتلثّموا، وسلك رسول الله ﷺ العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة ويقودها، وأمر حذيفة بن اليمان أن يسوق من خلفه، فبينا رسول الله ﷺ يسير من العقبة إذ سمع حسّ القوم قد غشوه، فنفروا ناقة رسول الله ﷺ حتّى سقط بعض متاعه وكان حمزة بن عمرو الأسلمي لحق برسول الله ﷺ بالعقبة، وكانت ليلة مظلمة، قال حمزة: فنوّر لي في أصابعي الخمس، فأضاءت حتّى جمعت ما

---

(١) ليس المقصود من هذه العقبة المكان الذي حصلت فيه بيعة الأنصار للنبي ﷺ قبل الهجرة بل هي عقبة أخرى في تبوك.

سقط من السوط والحبل وأشباههما، فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يردّهم، فرجع حذيفة إليهم وقد رأى غضب رسول الله ﷺ ومعه محجن يضرب وجوه رواحلهم وقال: إليكم إليكم يا أعداء الله تعالى، فعلم القوم أنّ رسول الله ﷺ قد اطّلع على مكرهم، فانحطّوا من العقبة مسرعين حتّى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتّى أتى رسول الله ﷺ فقال: اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت يا عمار، فأسرعوا حتّى استوى بأعلاها، وخرج رسول الله ﷺ من العقبة ينتظر الناس، وقال لحذيفة: هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم؟ قال: يا رسول الله قد عرفت رواحلهم وكان القوم متلثّمين فلم أبصرهم من أجل ظلمة الليل، قال: هل علمتم ما كان من شأنهم وما أرادوا؟ قالوا: لا والله يا رسول الله، قال: فإنّهم مكروا ليسيروا معي فإذا طلعت العقبة زحموني فطرحوني منها، إن شاء الله تعالى قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبركم بهم إن شاء الله تعالى، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاء الناس أن تضرب أعناقهم؟ قال: أكره أن يتحدّث الناس ويقولوا "إنّ محمدا قد وضع يده في أصحابه"، فسماهم لهما ثم قال: "اكتماهم" فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم لي، فلما أصبح رسول الله ﷺ قال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي؟ فقد كان أسهل من العقبة؟ فقال: أتدري يا أبا يحي أتدري ما أراد بي المنافقون وما همّوا به؟ قالوا: نتبعه من العقبة، فإذا أظلم عليه الليل قطعوا أنساع راحلتي ونخسوها حتى يطرحوني عن راحلتي، فقال أسيد: يا رسول الله قد اجتمع الناس ونزلوا ، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي همّ بهذا، فيكون الرجل من عشيرته هو الذي يقتله، وإن أحببت -والذي بعثك بالحق- فنبّئني بأسمائهم فلا أبرح

حتى آتيك برؤوسهم، قال: يا أسيد إنّي أكره أن يقول الناس إنّ محمدا قاتل بقوم حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم[١].

وهذه القصة كشف عدّة أمور مهمّة:

أوّلا: يظهر من تفاصيل القصّة أنّ النبي ﷺ كان على علم مسبق بما يخطّط له القوم وكان مستعدّا لهذه الحادثة، وأمره للناس بأن لا يدخل أحد العقبة كان الغرض منه فصل هؤلاء عن بقيّة الجيش لكي تتسنّى معرفتهم وينكشفون أمام بقيّة الجيش.

ثانيا: إنّ هذه الحادثة لم تكن وليدة اللحظة، بل كان القوم قد خطّطوا لها مسبقا وتآمروا على ذلك ويظهر هذا من خلال اختيار المكان والزمان المناسب، إذ أنّ سقوط النبي ﷺ من العقبة ليلا سيظهر كأنّه مجرّد حادث عرضي وليس اغتيالا، وهذا ما يؤكّد ارتباط هذه المحاولة بما جرى في المدينة المنوّرة قبل غزوة تبوك.

ثالثا: الظاهر أنّ هذه الحادثة كشفت تغلغل "حزب النفاق" في المجتمع المدني واتساع نفوذه، إذ أنّه رغم فظاعة الجريمة وعظم الجناية لم يبح النبي محمد ﷺ ولم يحاسب القوم على ما فعلوه، وذلك سببه الخوف من التبعات التي من الممكن أن تحصل لو واجههم علنا

بفعلتهم، فالقوم كانوا يعدّون العدّة لما هو أبعد من ذلك، وتوجيه الاتهام لهم يعني الدخول في حرب مباشرة مكشوفة معهم في عاصمة الدولة الإسلامية،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ٥/٤٦٦.

ومثل هذا الأمر يعتبر فرصة جيّدة للروم -الذين كانوا على تواصل مع المنافقين- لكي يقتحموا المدينة وينهوا الإسلام في مهده.

رابعا: إنّ الذي شجّعهم على السعي لقتل رسول الله ﷺ هو غياب علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد كان حاميا للنبي محمد ﷺ كما كان أبوه أبو طالب حاميا له، وكان لسيف الإمام عليّ عليه السلام بريق يخشاه صناديد العرب ويرتعب منه فرسانها فلذلك لم يجرؤ أحد على مهاجمة النبي ﷺ في حضوره، ومن هنا فقد كان غيابه فرصة سانحة لن تتكرّر لتنفيذ عمليّة الاغتيال.

دائرة الاتهام:

السؤال الحسّاس الذي يختلج في ذهن كلّ قارىء ويسعى للبحث عن جوابه هو: هل من الممكن معرفة الشخصيات المتورطة في عمليّة اغتيال النبي ﷺ؟ وهل توجد شواهد تاريخيّة يمكن من خلالها كشف أسماء الجناة ومعرفة المشاركين في هذه العمليّة؟

إنّ المجمع عليه في التاريخ هو أنّ النبي ﷺ لم يعلن أسماء هؤلاء، بل بقيت القضيّة طيّ الكتمان للأسباب التي تقدّم ذكرها، إنّما ذكر علامات لهؤلاء عرفوا بها لاحقا بين المسلمين، وهذه السياسة نبويّة جعلت فضول الناس هو من يكشف هؤلاء ويفضحهم تجنّبا لمحذور: إنّ محمّدا يقتل أصحابه!

ذكر بعض المؤرّخين أسماء المنافقين الذين حاولوا اغتيال النبي ﷺ في العقبة: فقد رووا عن الزبير بن بكّار النسابة المعروف أسماء المتهمين بهذا

الجرم، قال: **معتب بن قشير بن مليل** من بني عمرو بن عوف شهد بدرا وهو الذي قال: "يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على خلائه"، وهو الذي قال: "لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا"، قال الزبير: وهو الذي شهد عليه الزبير بهذا الكلام ،**ووديعة بن ثابت بن عمرو بن عوف** وهو الذي قال: "إنّما كنّا نخوض ونلعب"، وهو الذي قال: "مالكا أرى قرآنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأجبننا عند اللقاء"، **وجد بن عبد الله بن نبيل بن الحارث** من بني عمرو بن عوف، وهو الذي قال جبريل عليه السلام: "يا محمد، من هذا الأسود كثير شعره عيناه كأنّهما ومسالكه من صفر ينظر بعيني شيطان وكبده كبد حمار يخبر المنافقين بخبرك وهو المجتر بخرئه؟"، **والحارث بن يزيد الطائي** حليف لبني عمرو بن عوف، وهو الذي سبق إلى الوشك الذي نهى رسول الله ﷺ أن يمسّه أحد فاستقى منه، **وأوس بن قيظي** وهو من بني حارثة، وهو الذي قال: "إنّ بيوتنا عورة"، وهو جدّ يحيى بن سعيد بن قيس، **والجلاس بن سويد بن الصامت** وهو من بني عمرو بن عوف وبلغنا أنّه تاب بعد ذلك، **وسعد بن زرارة** من بني مالك بن ماتت وهو المدخن على رسول الله ﷺ وكان أصغرهم سنّا وأخبثهم، **وقيس بن قهد** من بني مالك بن ماتت، **وسويد وداعس** وهما من بني بلحبلى، وهما ممّن جهّز بن أبي في تبوك يخذلان الناس، **وقيس بن عمرو بن سهل وزيد بن اللصيت**، وكان من يهود قينقاع فأظهر إسلامه، وفيه غشّ اليهود ونفاق من نافق، **وسلامة بن الحمام** من بني قينقاع فأظهر الإسلام[1].

وهذه القائمة لا يمكن الاعتماد عليها لعدّة أسباب:

---

(١) المعجم الكبير ٣/١٦٦.

أوّلا: إنّ الزبير بن بكّار قد ولد في سنة ١٧٢هـ بإجماع المؤرّخين أي بعد قضيّة العقبة بأكثر من ١٥٠ سنة، فإذا كان الذي شهد الواقعة مثل عمّار بن ياسر لم يستطيع تشخيص الذين هجموا على رسول الله ﷺ، فكيف علم بأسمائهم من جاء بعده بقرن ونصف؟! خصوصا وأنّه لم يذكر مصدر المعلومة[١].

ثانيا: إنّ بعض الأسماء المذكورة في هذه القائمة لم يعلم أنّها موجودة في تبوك أصلا، بل إنّ بعضها قد نصّ المؤرّخون على تخلّفهم مثل الجلاس بن سويد الذي لم يخرج مع النبي ﷺ إلى تبوك[٢]، ومثل سويد وداعس اللذان كانا رفيقين لعبد الله بن أبي بن سلول الذي انسحب بعسكره قبل المسير لتبوك[٣]، فاتهام هؤلاء بالمشاركة في هذه المؤامرة مبنيّ على ثبوت خروجهم من المدينة المنوّرة والتحاقهم بالجيش النبوي.

ثالثا: إنّ هذه الأسماء هي عين أسماء المنافقين المشهورين بنفاقهم والذين عدّد أسماءهم ابن هشام في سيرته نقلا عن ابن اسحاق[٤]، وكون هؤلاء هم أصحاب مؤامرة العقبة بعيد جدّا إذ كيف ينفّذ المجرم جريمته في وسط قد عَرف له سوابق من هذا النوع واحتمل صدور مثل هذا الفعل منه، والأهمّ من هذا هو فقدان الدافع للجريمة وهو الركن الأساس، إذ لو نجحت جريمة هؤلاء واغتالوا النبي المصطفى ﷺ لما حقّقوا شيئا من المصالح لكونهم ليسوا أصحاب نفوذ أو سلطة في المجتمع الإسلامي، ولو كان الأمر مجرّد عداء للنبي ﷺ فلماذا

---

(١) ذكرت هذه القائمة في تفسير مقاتل بن سلمان ٢/١٨٣ مع اختلاف بسيط في بعض الأسماء.

(٢) مغازي الواقدي ٣/١٠٠٥، سيرة ابن هشام ٢/٣٦٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٣٦٣.

هذه السريّة المبالغ فيها فالكلّ يعرف أنّهم أعداء ألدّاء للإسلام والمسلمين؟!

رابعا: الغريب في هذه القائمة، بل في كلّ القوائم التي طرحوها لأسماء المنافقين: هو أنّ كلّ الأسماء المطروحة فيها من الأنصار ولا يوجد فيهم اسم مهاجريّ واحد، بل صرّح الواقدي بأنّه "ليس فيهم قرشي، وهذا الأمر المجتمع عليه عندنا"[1]!

ودائما عندما يتعرّض للنفاق وأهله لا يذكر إلّا الأنصار حتّى قيل (نشأ النفاق في الأنصار)، وهذا ما يؤكّد أنّ "حزب النفاق" مهاجريّ بامتياز، إنّما يحمي نفسه بإلقاء التهمة على الأنصار، ومن هنا حمّلوا عبد الله بن أبي بن سلول كلّ آيات النفاق ومصائب المنافقين، والزبير بن بكّار هو قرشي من نسل عبد الله بن الزبير فتأمّل.

إنّ كلّ هذه الأمور تمنعنا من التصديق بصحّة الأسماء التي حوتها هذه القائمة لعدم وجود الدليل وفقدان الدافع ووجود المانع من اتهام البعض لكونهم غير متواجدين أصلا في تبوك، أضف على هذا: أنّ هذه القائمة قد نقلت في مصادر أخرى مع تغيير وتبديل في بعض الأسماء!

فقد روى البيهقي مسندا عن ابن اسحاق عن النبي ﷺ: "إنّ الله قد أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم إن شاء الله عند وجه الصبح، فانطلق إذا أصبحت فاجمعهم"، فلمّا أصبح قال: "ادع عبد الله أظنّه ابن سعد بن أبي سرح" وفي الأصل "**عبد الله بن أبي وسعد بن أبي سرح**"، إلّا أنّ ابن إسحاق ذكر قبل

---

(١) المغازي ٢/١٠٥٤.

هذا أنّ ابن أبي تخلّف في غزوة تبوك ولا أدري كيف هذا؟ قال ابن إسحاق: وأبا حاضر الأعرابي، وعامرا، وأبي عامر، والجلّاس بن سويد بن الصامت، وهو الذي قال: "لا ننتهي حتى نري محمداً من العقبة الليلة ولئن كان محمد وأصحابه خيراً منّا إنّا إذا لغنم وهو الراعي ولا عقل لنا وهو العاقل"، وأمره أن يدعو: مجمع بن جارية وفليح التيمي وهو الذي سرق طيب الكعبة وارتد عن الإسلام فانطلق هارباً في الأرض فلا يدري أين ذهب، وأمره أن يدعو حصين بن نمير الذي أغار على تمر الصدقة فسرقه فقال له رسول الله ﷺ: "ويحك ما حملك على هذا؟" قال: حملني عليه أنّي ظننت أن الله لم يطلعك عليه، فأمّا إذ أطلعك الله عليه وعلمته فإنّي أشهد اليوم أنّك رسول الله ﷺ وإنّي لم أؤمن بك قط قبل الساعة يقينا، فأقاله رسول الله ﷺ عثرته وعفا عنه بقوله الذي قال، وأمره أن يدعو طعمة بن أبيرق وعبد الله بن عيينة وهو الذي قال لأصحابه: "اشهدوا هذه الليلة تسلموا الدهر كلّه، فوالله ما لكم أمر دون أن تقتلوا هذا الرجل"، فدعاه رسول الله ﷺ فقال: "ويحك ما كان ينفعك من قتلي لو أنّي قتلت؟" فقال عدو الله: "يا نبي الله، والله لا تزال بخير ما أعطاك الله النصر على عدوّك، إنّما نحن بالله وبك"، فتركه رسول الله ﷺ؛ وقال لحذيفة أدع مرة بن ربيع، وهو الذي ضرب بيده على عاتق عبد الله بن أبي ثم قال: "تمطّى والنعيم لنا من بعده، كائن نقتل الواحد المفرد فيكون الناس عامة بقتله مطمئنين"، فدعاه رسول الله ﷺ فقال له: ويحك ما حملك على أن تقول الذي قلت؟ فقال: "يا رسول الله ﷺ إن كنت قلت شيئا من ذلك إنّك لعالم به وما قلت شيئا من ذلك"، فجمعهم رسول الله ﷺ وهم إثنا عشر رجلا الذين حاربوا الله ورسوله وأرادوا قتله فأخبرهم رسول الله ﷺ بقولهم

ومنطقهم وسرّهم وعلانيّتهم وأطلع الله عزّ وجل نبيّه على ذلك بعلمه، ومات الإثنا عشر منافقين محاربين لله تعالى ورسوله، وذلك قول الله عز وجل ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ وكان أبو عامر رأسهم وله بنوا مسجد الضرار وهو الذي كان يقال له الراهب فسمّاه رسول الله ﷺ الفاسق وهو أبو حنظلة غسيل الملائكة، فأرسلوا إليه فقدم عليهم أخزاه الله وإياهم، وانهارت تلك البقعة في نار جهنم[1].

وهذه القائمة تزيد من الإشكالات على هذه القصّة، ولذلك تنبّه ابن قيم الجوزيه لهذه الاشتباهات فقام بنقد هذه القائمة، قال: وفي سياق ما ذكره ابن إسحاق وهم من وجوه:

أحدها: أنّ النبي ﷺ أسرّ إلى حذيفة أسماء أولئك المنافقين، ولم يطلع عليهم أحدا غيره، وبذلك كان يقال لحذيفة: إنّه صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره، ولم يكن عمر ولا غيره يعلم أسماءهم، وكان إذا مات الرجل وشكوا فيه يقول عمر: "انظروا، فإن صلّى عليه حذيفة، وإلّا فهو منافق منهم".

الثاني: ما ذكرناه من قوله: "فيهم عبد الله بن أبي"، وهو وهم ظاهر، وقد ذكر ابن إسحاق نفسه أنّ عبد الله بن أبي تخلّف في غزوة تبوك.

الثالث: أنّ قوله: وسعد بن أبي سرح وهم أيضا، وخطأ ظاهر، فإنّ سعد بن أبي سرح لم يعرف له إسلام البتة، وإنّما إبنه عبد الله كان قد أسلم وهاجر، ثم ارتدّ ولحق بمكة، حتّى استأمن له عثمان النبي ﷺ عام الفتح فأمنه، وأسلم فحسن إسلامه، ولم يظهر منه بعد ذلك شيء ينكر عليه، ولم يكن مع هؤلاء

---

(١) دلائل النبوّة ٥/٢٥٨.

الإثني عشر البتّة، فما أدري ما هذا الخطأ الفاحش.

الرابع: قوله: "وكان أبو عامر رأسهم"، وهذا وهم ظاهر لا يخفى على من دون ابن إسحاق، بل هو نفسه قد ذكر قصّة أبي عامر هذا في قصة الهجرة، عن عاصم بن عمر بن قتادة، أنّ أبا عامر لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خرج إلى مكة ببضعة عشر رجلا، فلمّا افتتح رسول الله ﷺ مكة خرج إلى الطائف، فلمّا أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام، فمات بها طريدا وحيدا غريبا، فأين كان الفاسق وغزوة تبوك ذهابا وإيابا[1]؟

١- الجلاس بن سويد	
٢- معتب بن قشير	٢- عبد الله بن أبي
٣- وديعة بن ثابت	٣- سعد بن أبي سرح
٤- وجد بن عبد الله	٤- أبو جاضر الأعرابي
٥-الحارث بن يزيد	٥-عامر
٦- أوس بن قيظى	٦-أبو عامر الراهب
٧-سعد بن زرارة	٧-محمد بن جارية
٨- قيس بن قهد	٨-فليح التيمي
٩- سويد	٩- حصين بن نمير

(١) زاد المعاد ٣/٤٧٩.

١٠- داعس	١٠- طعمة بن أبيرق
١١- قيس بن عمرو	١١- عبد الله بن عيينة
١٢- زيد بن اللصيت	١٢- مرّة بن ربيع
١٣- سلامة بن الحمام	

والمضحك أنّ بعضهم قد حاول إلصاق التهمة بعليّ بن أبي طالب، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده إلى إسماعيل بن عياش قال: سمعت حريز بن عثمان، قال: هذا الذي يرويه الناس عن النبي ﷺ قال لعلي: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى" حقّ ولكن أخطأ السامع، قلت: فما هو؟ قال: إنّما هو أنت منّي مكان قارون من موسى، قلت: عمّن ترويه؟ قال سمعت الوليد بن عبد الملك يقوله وهو على المنبر[١].

وتشبيهه بهارون هو لمحاولته قتل النبي ﷺ في قصّة مضحكة اخترعها هذا الناصبي، قال: روي أنّ النبي ﷺ لما أراد أن يركب بغلته جاء علي بن أبي طالب فحلّ حزام البغلة ليقع النبي ﷺ[٢]؛ والأهمّ من هذه القصّة تعليق ابن حجر العسقلاني حيث قال: لعلّه سمع هذه القصة أيضا من الوليد[٣].

فهذا الاختلاف الشنيع والأخطاء الفادحة دليل قاطع على أنّ هذه الأسماء أقحمت إقحاما لغرض التعتيم على الأسماء الحقيقيّة التي خطّطت ودبّرت

---

(١) تاريخ بغداد ٨/٢٦٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٢/٢٠٩.

(٣) تهذيب التهذيب ٢/٢١٠.

ونفّذت حادثة الاغتيال، ولكونها من الأسماء الثقيلة تعمّد المؤرّخون إمّا تحت ضغط الحكومات أو لانتماءاتهم المذهبيّة إخفاء هذه الأسماء لأنّ البوح بها يهدم كلّ البناء، وبهذا يبقى السؤال مطروحا: من الذي أراد اغتيال النبي ﷺ ليلة العقبة؟

صندوق الأسرار:

رغم كلّ محاولات التعتيم حول هذه الحادثة إلّا أنّ النبي ﷺ قد ترك لنا صندوق أسرار احتوى كلّ ما يتعلّق بهذه الحادثة، وهذا الصندوق كان يطلق بين الفينة والأخرى إشارات لعامّة الناس تدلّ على أسماء هذه الفئة التي عمدت لتصفية النبي ﷺ، إنّه الصحابي الجليل: حذيفة بن اليمان ﷺ الذي شهد بنفسه الواقعة.

فإذا أردنا معرفة أسماء الجناة الحقيقيّين فعلا فما علينا إلّا تتبّع إشارات حذيفة بن اليمان الذي كان يعرف بصاحب سرّ رسول الله ﷺ حول هذه الفئة ومحاولة تطبيقها على الواقع التاريخي:

الإشارة الأولى: قوله ﷺ كما في حديث روي في صحيح مسلم: قال النبي ﷺ في أصحابي اثنا عشر منافقا، فيهم ثمانية لا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة، وأربعة لم أحفظ ما قال شعبة[1].

وبغضّ النظر عن سبب إخفاء الراوي لبقيّة الحديث وتظاهره بالنسيان

---

(١) صحيح مسلم ١٢٢/٨.

فإنّ كلامنا سينصبّ حول العلامة التي حدّدها حذيفة وهي أنّ ثمانية من هؤلاء المجرمين سيموتون بداء الدبيلة، وهذا الداء قد عرّف في بعض طرق الحديث بـ" شهاب من نار يوضع على نياط قلب أحدهم فيقتله[1]"؛ وهذه العلامة واضحة وسهلة التمييز، فكلّ من مات بالدبيلة من الصحابة يكون داخلا في دائرة الاتّهام.

لكنّ العجيب من المحدّثين وشرّاح الحديث والمفسّرين والمؤرّخين إهمالهم البحث في هذه القضيّة، فلا تجد أحدا منهم قد عقد في كتابه باب لذكر من توفّي بالدبيلة، ولا أدري هل هناك أمر أهمّ من معرفة المنافقين الذين اعتبرهم حذيفة: حربا لله ورسوله؟!

إنّ هذه السكوت المريب منهم لا يمنع من معرفة الحقّ، فالحديث ورد في صحيح مسلم فيه جزء من الجواب، إذ أنّه قد بدأ بحوار دار بين عمّار بن ياسر ﷺ الذي شهد الواقعة ورجل آخر سأله عن أمر علي عليه السلام، قال: قلت لعمّار أرأيتم صنيعكم هذا الذي صنعتم في أمر عليّ، أرأيا رأيتموه أو شيئا عهده إليكم رسول الله ﷺ، فقال: ما عهد إلينا رسول الله ﷺ شيئا لم يعهده إلى الناس كافّة ولكن حذيفة أخبرني عن النبي ﷺ...[2].

فالسائل يسأل عن سبب وقوف عمّار في صفّ علي عليه السلام وليس مع الطرف الآخر، فكان من جواب عمّار أن ربط هذا الأمر بقضيّة العقبة وتحديدا بمرتكبي هذه الجريمة، والتفسير الوحيد لهذا الربط هو أنّ هناك من محاربيّ

---

(١) المعجم الأوسط ٨/١٠٢.

(٢) صحيح مسلم ٨/١٢٢.

عليّ بن أبي طالب عليه السلام من كان مشاركا في قضيّة العقبة، وبهذا تضيق الدائرة أكثر ويصبح في المتهم علامتين: الأولى موته بالدبيلة، والثانية كونه ممّن حارب عليّا عليه السلام.

وهذه الصفتان لم تجتمعا إلّا في شخص واحد هو: معاوية بن أبي سفيان: أمّا حربه لعليّ عليه السلام فهو أمر معروف مشهور لا يحتاج دليلا أو برهانا فأحداث موقعة صفّين قد ملأت كتب التاريخ، وأمّا موته بمرض الدبيلة فهذا ما نقله بعض المؤرّخين وثبت في بعض الأخبار:

فمن المؤرّخين الذين نصّوا على موته بالدبيلة ابن قتيبة الدينوري الذي نقل عن ابن إسحاق كاتب -السيرة المعروف- قوله: مات وله ثمان وسبعون سنة، وكانت علّته الناقبات يعني: الدّبيلة[1].

ومنهم ابن سعد في طبقاته حيث نقل مسندا: عن أبي بردة قال دخلت على معاوية بن أبي سفيان حين أصابته قرحته، فقال: "هلمّ يا ابن أخي تحوّل فانظر"، قال: فتحوّلت فنظرت فإذا هي قد سبرت يعني قرحته، فقلت: ليس عليك بأس يا أمير المؤمنين[2].

ومنهم ابن عساكر في تاريخه الذي روى بسنده: عن ثابت قال: لما كبر معاوية خرجت به قرحة في ظهره، فكان إذا لبس دثارا ثقيلا والشام أرض باردة أثقله ذلك وغمّه، فقال: "اصنعوا لي دثارا خفيفا دفيئا من هذه السخال"، فصنع له فلمّا ألقي عليه تسار إليه ساعة ثم غمّه، فقال: "جافوه عنّي"، ثم لبسه ثم غمه

---

(١) المعارف ٣٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى ١١٢/٤.

فألقاه ففعل ذلك مرارا، ثم قال: قبّحك الله من دار، ملكتك أربعين سنة عشرين خليفة وعشرين إمارة ثم صيّرتني إلى ما أرى قبّحك الله من دار[١].

فمن خلال هذه الإشارة يدخل "معاوية بن أبي سفيان" في دائرة الاتّهام، بل يعرف أيضا سبب إخفاء هذا الأمر في كتب التاريخ وإصرار الوليد بن عبد الملك على اتّهام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أنّ هذه المؤامرة الخبيثة قد اشترك فيها بعض بني أميّة وعلى رأسهم مؤسّس دولتهم ومثبّت ملكهم معاوية.

الإشارة الثانية: هي ما رواه البخاري عن زيد بن وهب قال: كنّا عند حذيفة، فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية -﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾- إلّا ثلاثة ولا من المنافقين إلّا أربعة، فقال أعرابي: إنّكم أصحاب محمد صلى الله عليه وآله تخبرونا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفسّاق، أجل لم يبق منهم إلّا أربعة، أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده[٢].

وهذا النص يعطينا صفة لأحد الذين شاركوا في مؤامرة الاغتيال، فبحسب هذه الرواية هو شيخ كبير لا يجد برد الماء "لذهاب شهوته وفساد معدته فلا يفرق بين الألوان ولا الطعوم[٣]"، وبالتالي هو أحد الصحابة الذين بلغ من العمر عتيّا بحيث أصبحت فيه هذه الحالة.

لم تذكر النصوص كالعادة إسمه الصريح بل لم ينقل المؤرّخون من وصلت

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٩/٢٢٠.

(٢) صحيح البخاري ٥/٢٠٣.

(٣) فتح الباري ٨/٢٤٣.

به الهرم إلى هذه الحالة رغم أنّهم اهتموا بتوافه الأمور، والسبب واضح وجليّ وهو أنّ الأسماء المشتركة في المؤامرة لا تنسجم مع الوضع الديني والسياسي والاجتماعي العام، لذلك أبهموها تحت هذه الضغوط المختلفة.

إلّا أنّ مفتاح فهم كلام حذيفة هو ربطه بين المقصودين من الآية وبين المنافقين، فقد رويت روايات مفادها أنّ أئمّة الكفر المقصودين هم رؤوس الشرك في مكّة، قال قتادة: قتادة في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ قال: «أبو سفيان بن حرب، وأميّة بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله، وهمّوا بإخراج الرسول[١].

وهذا الخبر مشكل من جانبين:

أوّلها: أنّ التوبة نزلت في المدينة كما تقدّم في السنة التاسعة من الهجرة وهؤلاء قتلوا قبل هذا التاريخ، وقد استدرك ابن حجر على هذه الأسماء بقوله: سمّي منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد أبو سفيان بن حرب، وفي رواية معمر عن قتادة أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو، وتعقّب بأنّ أبا جهل وعتبة قتلا ببدر، وإنّما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حيّ فيصحّ في أبي سفيان وسهيل بن عمرو وقد أسلما جميعا[٢].

ثانيها: أنّه قد روي عن حذيفة بعدّة طرق أنّه قرأ هذه الآية ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ ثم أردفها بقوله: "ما قوتل أهل هذه الآية بعد"[٣]، ممّا يعني أنّ المراد من هذه الآية هم الذين دخلوا الإسلام وعاهدوا على عدم العود إلى ما كانوا عليه، والآية

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/١٣٧.

(٢) فتح الباري ٨/٢٤٣.

(٣) مصنّف ابن أبي شيبة ٨/٦٣٧.

بصدد تهديدهم بالقتال في حال رجعوا عن الدين.

وبالتالي فإنّ المقصود بالآية الأولى هو عين المقصود بالثانية وهذا هو مراد حذيفة بن اليمان ﷺ، إذ أنّ الكلّ يعرف أنّه لم يبق من زعماء قريش إلّا أبو سفيان بن حرب، ودخوله للإسلام كان استسلاما لا إسلاما كما هو مسطّر في كتب السير، والأهمّ من هذا هو تقدّمه في السن حيث توفي وقد تجاوز التسعين سنة وهو ما ينطبق على وصف حذيفة: شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده[1].

وقد أشار ابن عبد البرّ إلى وجود أخبار حول بلايا أبي سفيان بعد إسلامه، فقال: وروي عن الحسن أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعديّ، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك ولا أدرى ما جنّة ولا نار، فصاح به عثمان: "قم عنّي، فعل الله بك وفعل"، وله أخبار من نحو هذا رديّة ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها، وفي بعضها ما يدلّ على أنه لم يكن إسلامه سالما[2].

الإشارة الثالثة: وهي الأصرح ممّا سبق، فقد روى مسلم في صحيحه: حدّثنا أبو الطفيل قال: كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك، قال: كنّا نخبر أنّهم أربعة عشر فإن كنت منهم فقد كان القوم خمسة عشر، وأشهد بالله أنّ إثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة قالوا: "ما سمعناه منادي رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري ٥/٢٠٣.

(٢) الاستيعاب ٤/١٦٧٩.

ولا علمنا بما أراد القوم"، وقد كان في حرّة فمشى فقال إنّ الماء قليل فلا يسبقني إليه أحد فوجد قوما قد سبقوه فلعنهم يومئذ[١].

وهذا الأثر هو تصريح لا تلويح بشخصيّة هذا المتّهم، إذ أنّ حذيفة بن اليمان قد فضحه على الملأ وأخبر بأنّه من أهل العقبة، ولقد حاول الرواة إخفاء اسمه كما نقلنا من صحيح مسلم، لكن ورد التصريح به في كتب أخرى من أهمّها مصنّف بن أبي شيبة الذي نقل فيه الخبر بصورة أضبط وأوضح حيث قال: كان بين حذيفة وبين رجل منهم من أهل العقبة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله، كم كان أصحاب العقبة؟ فقال القوم: فأخبره فقد سألك، فقال أبو موسى الأشعري: قد كنّا نخبر أنّهم أربعة عشر، فقال حذيفة: وإن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر، أشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب الله ورسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد، وعذر ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا ما يريد القوم[٢].

فالرجل المقصود إذن هو "أبو موسى الأشعري"، ولم تكن هذه المرّة الوحيدة التي يخبر فيها حذيفة بنفاقه، فقد أخبر في عدّة موارد أخرى كالخبر الذي رواه الفسوي في تاريخه بسنده عن شقيق قال: كنّا مع حذيفة جلوسا فدخل عبد الله وأبو موسى المسجد، فقال-حذيفة-: أحدهما منافق، ثم قال: إنّ أشبه الناس هديا ودلّا وسمتا برسول ﷺ عبد الله[٣].

---

(١) صحيح مسلم ١٢٣/٨.

(٢) مصنف لابن أبي شيبة ٥٨٨/٨، صحيح.

(٣) المعرفة والتاريخ ٧٧٦/٢، والسند لا إشكال فيه فكلّ رواته من الثقات.

فالإخبار بأنّ أحدهما منافق ثم التصريح بمدح واحد منها دليل على أنّ المتبقّي منافق كما لا يخفى، ووسمه بالنفاق يعني أنّه من المشاركين بتلك المؤامرة التي حدثة ليلة العقبة لكون النبي ﷺ قد أخبره بخصوص أسماء هؤلاء لا غيرهم، ومن هنا فإنّ المؤرّخين قد أحسّوا بخطورة هذا الأثر فحاولوا دفعه بما يضحك الثكلى، وعلى رأسهم الذهبي الذي قال: ما أدري ما وجه هذا القول، سمعه عبد الله بن نمير منه،...، ولا ريب أنّ غلاة الشيعة يبغضون أبا موسى لكونه ما قاتل مع علي، ثم لما حكّمه علي على نفسه عزله وعزل معاوية، وأشار بابن عمر فما انتظم من ذلك حال[1].

ولا ندري ما علاقة الشيعة بهذا الموضوع، وما ذنبهم إذا أبغضوا شخصا يشهد التاريخ بنفاقه، وقد ورد تصريح أخطر ممّا تقدّم من كلام الذهبي وهو ما ذكره ابن عبد البر، حيث اعترف بوجود تصريحات لحذيفة تدين أبا موسى لكنّه تجنّب إيرادها في كتابه، قال: وعزله عليّ ﷺ عنها، فلم يزل واجدا منها على عليّ، حتى جاء منه ما قال حذيفة، فقد روى فيه لحذيفة كلام كرهت ذكره، والله يغفر له[2].

وأنا أقول سامح الله من جنى هذه الجناية العظيمة على التاريخ فأخفى هذه عن المسلمين، وحرّف وزوّر وأخفى بما يمليه عليه هواه ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العظيم.

الإشارة الرابعة: هي الإشارة الأخطر من كلّ ما تقدّم، وخطورتها تظهر من

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤٧/٤.

(٢) الاستيعاب ٩٨٠/٣.

طريقة تعاطي حذيفة معها، إذ أنّه كان يشير إلى وجود أمر عظيم لا يستطيع البوح به، ولو باح به لن يصدّقه أحد، بل إنّ مجرّد محاولة البوح به ستؤدّي إلى قتله!

فقد قال حذيفة ﷺ:

لو أنّي أحدّثكم بكلّ ما أعلم قتلتموني، أو قال: لم تصدّقوني[١].

لو حدّثتكم بكلّ ما أعلم ما رقبتم بي الليل[٢].

لو كنت على شاطئ نهر، وقد مددت يدي لأغترف فحدّثتكم بكلّ ما أعلم ما وصلت يدي إلى فمي حتى أقتل[٣].

لو حدّثتكم بحديث لكذّبني ثلاثة أثلاثكم، ففطن له شاب فقال: من يصدقك إذا كذّبك ثلاثة أثلاثنا؟[٤]

ومن حقّنا أن نتساءل الآن:

إلى ماذا يرمي حذيفة؟

وماهي الرسالة التي يريد ايصالها للناس؟

وما هو الشيء الذي يؤدّي البوح به إلى التكذيب والقتل؟

إنّ الإجابة على هذه الأسئلة لا تحتاج إلى عناء وطول تفكير، بل هي واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، إذ أنّ كلام حذيفة مفاده أنّ قسما من

---

(١) جامع معمر بن راشد ٥٢/١١.

(٢) فتن ابن حماد ١٦.

(٣) تهذيب الكمال ٥٠٧/٥.

(٤) تهذيب الكمال ٥٠٧/٥.

أسماء الذين شاركوا في عمليّة الاغتيال لا يمكن البوح بها، وسبب ذلك أنّها شخصيّات من الوزن الثقيل في المجتمع الإسلامي ولها قداسة كبيرة بحيث لا يمكن تصديق صدور مثل هذا الأمر منها حتّى لو لزم الأمر تكذيب حذيفة بن اليمان، وهذا هو عين قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ فالمجتمع الإسلامي خدع بتظاهر هؤلاء بالإسلام والتزامهم بظاهر الشريعة بحيث لا يقبل أيّ طعن فيهم!

ولعلّ هذا الأمر هو الذي دعا رسول الله ﷺ لكتمان هذه الأسماء لأنّه سيكون عرضة للتكذيب في حال باح بها، وقد امتحن النبي ﷺ قومه في مثل هذه الأمور أكثر من مرّة:

فإذا كان الناس قد استعظموا إخباره ﷺ بأنّ رجلا عاديّا من أهل النار لكونه جاهد في سبيل الله، كما روي في صحيح مسلم: أنّ رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلّا اتبعها يضربها بسيفه، فقالوا: ما أجزأ منّا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: أما إنّه من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدا، قال: فخرج معه كلّما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال أشهد أنّك رسول الله، قال: وما ذاك؟ قال: الرجل الذي ذكرت آنفا أنّه من أهل النار فأعظم الناس ذلك [1].

---

(١) صحيح مسلم ١/٧٤.

وامتنعوا عن تنفيذ أمر رسول الله ﷺ بقتل رجل عندما وجدوه يصلّي كما روي في مسند أحمد: أنّ نبيّ الله ﷺ مرّ برجل ساجد وهو ينطلق إلى الصلاة فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد، فقام النبي ﷺ فقال: من يقتل هذا؟ فقام رجل فحسر عن يديه فاخترط سيفه وهزّه ثم قال: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، ثم قال: من يقتل هذا؟ فقام رجل فقال: أنا، فحسر عن ذراعيه واخترط سيفه وهزّه حتّى أرعدت يده، فقال: يا نبي الله كيف أقتل رجلا ساجدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا عبده ورسوله، فقال النبي ﷺ: والذي نفس محمد بيده لو قتلتموه لكان أوّل فتنة وآخرها [1].

فمن باب أولى أنّهم يرفضون اتهام فلان أو فلان بالنفاق وبمحاولة اغتيال النبي ﷺ مع سابقتهم بالإسلام وعدم ظهور أيّ شيء ينافي إيمانهم في نظر عموم المسلمين!

فإن كان الإسمين السابقين قد عمدت الأيادي "الأمينة" لإخفائها وعدم إشاعتها بين الناس رغم أنّهما من مسملة الفتح طلقاء مكّة، فإنّ الجهود ستكون مضاعفة لحفظ هذه الأسماء من الفضيحة لكونها تمثّل ثقلا إسلاميّا، ومن هنا فإنّ التاريخ قد أهمل ذكر هذه الأسماء ولم يتجرّأ أحد من المؤرّخين على الخوض فيها وكشف المستور عنها، ولذلك فإنّ المعلومات شحيحة جدّا حول هذه الفئة.

لكنّ المفاجأة الكبرى أنّه وجدنا طرف خيط يمكنه أن يوصلنا إلى المجرمين الذين نبحث عنهم: ففي فلتة من فلتات لسان من فلتات أحد كبار

(١) مسند أحمد ٥/٤٢.

العلماء وهو "ابن حزم الظاهري" تسرّبت الحقيقة:

فعند بحثه حول قضيّة العقبة ومحاولته طمس كلّ القضيّة من أساسها سرّب من حيث لا يدري بعض المعلومات التي حاول أسلافه إخفاءها فقال: وأمّا حديث حذيفة فساقط لأنّه من طريق الوليد بن جميع وهو هالك ولا نراه يعلم من وضع الحديث، فإنّه قد روى أخبارا فيها أنّ أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص ﷺ أرادوا قتل النبي ﷺ والقاءه من العقبة في تبوك، وهذا هو الكذب الموضوع الذي يطعن الله تعالى واضعه[1].

والنقطة المهمّة في كلامه هي إقراره بوجود أخبار -لا خبر واحد- مرويّة عن حذيفة بن اليمان فيها تسمية من شارك في محاولة اغتيال النبي ﷺ يوم العقبة، بل ذكر بعض الأسماء المهمّة:

١- أبو بكر

٢- عمر

٣- عثمان

٤- طلحة

٥- سعد بن أبي الوقاص

وهذه الأسماء تتلاءم مع كلام حذيفة المتقدّم من أنّه لن يصدَّق إذا قام بإخبار عامّة الناس بل قد يقتل لأجلها، والسبب واضح لكلّ ذي لبّ فهؤلاء يعتبرون من أكابر الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة، والأهم من كلّ هذا

---

(١) المحلّى ٢٢٤/١١.

أنّ السلطة كانت بأيديهم، وإذا أضفنا لهم من قدّمنا ذكرهم لاسيما معاوية وأبا سفيان فإنّ الصورة تكون قد اكتملت.

والأسئلة الملحّة هنا:

أين هذه الروايات التي يتحدّث عنها ابن حزم؟

ولماذا لا نجد لها عينا ولا أثرا في كتب التواريخ والسير؟

وكيف استطاعوا إبعادها عن أعين عامّة الناس وإخفاءها عنهم؟

الجواب عن هذا السؤال قد تقدّم في الفصول الأولى من الكتاب، عندما ذكرنا ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ من منع للحديث والرواية، ولعلّ القارىء النبيه قد تساءل عن سبب هذا التشدّد في المنع بحيث يعاقب كلّ من يخالفه، وجوابه أنّ التساهل في هذا الأمر سيسمح بانتشار مثل هذه الروايات في المجتمع الإسلامي والتي من شأنها أن تهدم كلّ شيء على رؤوس المؤسّسين.

ولقد أشارت مصادر الشيعة إلى روايات الوليد بن الجميع المتقدّمة، فهي وإن لم تنقلها لفظا إلّا أنّها أشارت إلى نفس المضمون الذي حكاه ابن حزم في المحلّى، فقد ذكر محمد بن جرير الطبري الشيعي في كتابه المسترشد: وروى عبيد الله بن موسى عن الوليد بن جميع، عن أبي الطفيل، عن حذيفة أو عمار، قال: تجسّسوا على رسول الله ﷺ ليلة العقبة الثلاثة وصاحبا البصرة، وعمرو بن العاص، وأبو مسعود، وأبو موسى، وقد ذكر جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ[1].

والذي يؤكّد صحّة هذا النقل الشيعي عن الوليد بن جميع هو ما قاله بعض

---

(١) المسترشد ٥٩٧.

أئمّة الحديث في حقّ عبيد الله بن موسى شيخ البخاري، حيث طعنوا فيه لروايته بعض الأخبار الرديئة بحسب تعبيرهم، فالظاهر أنّ هذا الرجل قد خرق الحظر المضروب على مثل هذه الروايات وأخرج المستور فكان مصيره الطعن والتسقيط: قال أبو الحسن الميموني : وذكر عنده -يعني : عند أحمد بن حنبل- عبيد الله بن موسى فرأيته كالمنكر له، قال: كان صاحب تخليط وحدّث بأحاديث سوء، أخرج تلك البلايا فحدث بها[١].

وقد يُتمسّك بكلام ابن حزم في تضعيفه للوليد بن جميع وردّه لرواياته، وهذا لا ينفع في المقام لأنّه قد وثّقه كبار علماء الجرح والتعديل ومن هنا أخرج له مسلم في صحيحه، قال الذهبي: وثّقه ابن معين، والعجلي، وقال أحمد وأبو زرعة: ليس به بأس، وقال أبو حاتم: صالح الحديث[٢]؛ فلا عبرة إذن بتضعيف ابن حزم مع توثيق الأكابر له، وحتّى لو قلنا بضعفه كما أشار ابن حزم فإنّ هذا الجرح مبنيّ على روايته لهذه الأخبار لا لكونه غير ثقة وهو المنهج الذي رسمه المحدّثون من تضعيف الراوي والطعن فيه لمجرّد روايته روايات مخالفة لخلفيّاتهم المذهبيّة.

بل يمكن أن نترقّى في المناقشة ونعتبر كلام ابن حزم دليلا على صحّة أسانيد هذه الأخبار، لأنّه لو وجد علّة قادحة في السند لذكرها، وحيث أنّه لم يجد ما يسقط السند تمسّك بتليين بعضهم للوليد بن الجميع تخلّصا من هذه الرواية، وبما أنّ وثاقة الوليد بن جميع محرزة كما قدّمنا، فإنّ هذه الأخبار تكون

---

(١) تهذيب الكمال ١٩/١٦٧.

(٢) ميزان الاعتدال ١/٣٣٧.

صحيحة ورواتها من الثقات.

هذه أهمّ الأمور التي يمكن من خلالها معرفة من تدور حولهم شبهة المشاركة في اغتيال رسول الله ﷺ، وقد ذكروا علامة أخرى وهي أنّ حذيفة لم يكن يصلّي صلاة الجنازة على هؤلاء المنافقين، ورغم هذا فإنّ كتب التاريخ خالية من ذكر أسماء من امتنع حذيفة عن الصلاة عليهم، فنجد أنّهم ينقلون امتناع حذيفة عن الصلاة لكن لا يذكرون اسم المنافق، مثل رواية زيد بن وهب: مات رجل من المنافقين فلم يصلّ عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هو؟ قال: نعم[1]؛ فلماذا يخفي اسمه ولا يعلن لعامّة الناس؟ فلو كان من المنافقين المشهورين بنفاقهم لما كان هناك وجه لسؤال عمر بن الخطاب عنه، لكن لأنّه من الذين مردوا على النفاق بل له مكانة في المجتمع الإسلامي عمدوا إلى إخفاء اسمه وإخفاء كلّ المشتركين في المؤامرة.

والعجيب هو محاولة ابن حزم التبرير لهؤلاء المنافقين الذين سعوا لقتل نبيّه ﷺ، قال: وأمّا الموقوفة على حذيفة فلا تصحّ، ولو صحّت لكانت بلا شكّ على ما بيّنا من أنهم صحّ نفاقهم وعاذوا بالتوبة ولم يقطع حذيفة ولا غيره على باطن أمرهم فتورّع عن الصلاة عليهم[2].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٦٣٧/٨.

(٢) المحلّى ٢٢٥/١١.

السؤال المحيّر:

بقي أمر أخير لابدّ من الوقوف عنده، وهو تكرار عمر بن الخطّاب طرح السؤال على حذيفة بن اليمان، فقد نقل ابن أبي شيبة وغيره مسندا عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين فلم يصلّ عليه حذيفة، فقال له عمر: أمن القوم هو؟ قال: نعم، فقال له عمر: بالله منهم أنا؟ قال: لا، ولن أخبر به أحدا بعدك[1].

إنّ هذا السؤال يجعلنا أمام أمر محيّر جدّا وهو: لماذا يسأل الخليفة عمر بن الخطاب هذا السؤال من حذيفة بن اليمان؟ إذ أنّ طرحه لهذا السؤال يجعله بين خيارين أحلاهما مرّ:

الأوّل: أن يكون الرجل فعلا من أصحاب العقبة، وغرضه من سؤاله التأكّد من القائمة التي أسرّها النبي ﷺ لحذيفة: هل احتوت اسمه أم لا؟ وذلك خوفا من افتضاح أمره في المستقبل لا سيما إذا امتنع حذيفة من الصلاة عليه بعد موته.

الثاني: أن يكون الرجل بريئا فعلا من الاشتراك في الجريمة، إلّا أنّه يخاف من وقوع اسمه اشتباها في هذه القائمة، وهذه مصيبة أعظم من سابقتها، لأنّ لازم هذا القول هو الشكّ في صدق نبوة النبي ﷺ وأنّه ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ وهذا يضرّ بأصل الإسلام.

ومن هنا فإنّ بعض المحدّثين والمؤرّخين قد حاولوا التملّص من هذا الخبر

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ٨/٦٣٧، وقد علّق ابن حجر العسقلاني على هذا الخبر بقوله: إسناده صحيح (المطالب العالية ١٤/٧٠٢)، وكذلك قال البوصيري: رواه مسدّد بسند صحيح (إتحاف الخيرة المهرة ٢/٤٧٤).

لاستلزام هذا السؤال على أقلّ التقادير وضع عمر بن الخطاب في دائرة الاتهام:

فقد قال الفسوي ردّا لهذا الخبر: وهذا المحال وأخاف أن يكون كذب، وكيف يكون هذا وهو ممّن ﷺ، وهو من أهل بدر، وهو ممّن يقول له النبي ﷺ: "لو كان بعدي نبي لكان عمر" و "قد كان يكون في الأمم محدثون وإن يكن في أمتي فهو عمر"، مع ما لا يحصى من هذا الضرب، فكيف يجوز أن يقول لحذيفة "وأنا من المنافقين"، ولكن حديث زيد فيه خلل كثير[١].

وكذّب ابن حزم الخبر بقوله: وفي بعضها أنّ عمر سأله "أنا منهم" فقال له: "لا، ولا أخبر أحدا غيرك بعدك"، وهذا باطل كما ترى لأنّ من الكذب المحض أن يكون عمر يشك في معتقد نفسه حتّى لا يدري أمنافق هو أم لا[٢]؟

وكلامهما أصوب ممّن اعتبر هذا السؤال من باب التواضع وتزكية النفس كما ذكر ابن القيم[٣]، لأنّ الأسماء التي كانت عند حذيفة هي خصوص من شارك في العقبة وليست أسماء كلّ المنافقين كما يحاول البعض خلط الأوراق بذلك، فإمّا أن يكون الإنسان شارك في الواقعة أم لا، فلا يحتاج تزكية من أحد.

أمّا من تمسّك بنفي حذيفة كون عمر بن الخطاب من المنافقين فهذا أضعف من سابقه، إذ من الطبيعيّ أن يتجنّب الرجل إخباره بالحقيقة -على فرض كونه منه- لأنّ مثل هذا التصريح موجب لسفك دمه كما تقدّم ذكره في الإشارة الرابعة، وقد ورد أنّه كان يستعمل التقيّة حماية لدينه وعصمة لدمه: فقد روى ابن

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢/٧٦٩.

(٢) المحلّى ١١/٢٢٥.

(٣) الجواب الكافي ١/٤٢.

أبي شيبة مسندا عن النزال بن سبرة قال: دخل ابن مسعود وحذيفة على عثمان، فقال عثمان لحذيفة: بلغني أنك قلت كذا وكذا؟ قال: لا والله ما قلته، فلمّا خرج قال له عبد الله: ما لك فلم تقوله ما سمعتك تقول؟ قال: إنّي أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله[١].

ما لكم كيف تحكمون؟

إنّ المحيّر في كتب السيرة والتاريخ أنّ العلماء قد اهتمّوا بكلّ كبيرة وصغيرة في حياة النبي ﷺ، فألّفت الكتب في سيرته ومغازيه، وصنّفت الموسوعات في خلقه وهديه، ودوّنت تفاصيل سيفه ودرعه وعمامته بل حتى الدوابّ التي كان يركبها، بل اهتمّ البعض حتّى بنعاله فجمعوا ما قيل فيها من شعر ونثر[٢]، لكنّ الغريب هو إعراضهم عن الخوض في أخطر نقطة في حياته وهي محاولة اغتياله وقتله!

فمن يتصفّح كتب السيرة يجد إعراضا تامّا عن هذه الموقعة الخطيرة: أمّا كتب السيرة: فمن يقرأ سيرة ابن هشام يجده حذف كلّ ما ذكره ابن إسحاق[٣] حول قصّة العقبة ولم يوردها ولو بنحو الإشارة، وكذلك أعرض عن ذكر الحادثة: ابن حبّان في سيرته، وابن حزم في جوامعه، وابن عبد البر في اختصار المغازي والسير، والسهيلي في الروض الآنف، و الكلاعي في الاكتفاء، وابن سيد الناس في

---

(١) مصنّف ابن أبي شيبة ٦٤٣/٧.

(٢) مثل كتاب (فتح المتعال في مدح النعال).

(٣) سيرة ابن كثير ٣٥/٢.

عيون الأثر، وغيرهم...

وكذلك أعرض كبار المؤرّخين عن ذكر الحادثة، إذ لا وجود لها في: تاريخ الطبري، ولا منتظم ابن الجوزي، ولا كامل ابن الأثير، ولا تاريخ ابن خلدون، ولا مختصر أبي الفداء، بل غالبيّة كتب المؤرّخين أعرضت عن ذكر الحادثة.

أمّا كتب المحدّثين فالأمر فيها مختلف، فمنهم من أعرض عن الحادثة بالكليّة مثل البخاري في صحيحه الذي لم يشر للقضيّة من قريب ولا من بعيد ويا ليته أعارها اهتمام قصّة القردة التي زنت[١] أو الحيوانات التي تتكلّم[٢]، ومنهم من تجد في كتبه ذكرا خجولا للقضيّة -لا ترقى لمستوى أحاديث الاستنجاء والاستجمار- مع محاولة لترميز القضية وتشويشها على القارىء كما في صحيح مسلم وبعض المصادر التي أشرنا لبعضها، وأمّا من ذكر تفاصيل الحادثة -وهم قلّة- فقد كان حرصه على إظهار براءة الصحابة لاسيما المهاجرين منهم مقدّما على حرصه على معرفة حقيقة الجناة وكشف هويّتهم.

والسبب الرئيسي في الإعراض عن هذا الخبر هو الخوف الشديد من سطوة الرقابة الرسمية المتمثّلة في الحكومة من جهة، وفي أئمّة الجرح والتعديل الذين كانوا يتوعّدون بكلّ صراحة من يتجاهر برواية هذا الخبر، وليس هذا الكلام مبالغة منّي، فقد وصلتنا بعض أساليب القوم في المنع من نقل هذه القصّة:

---

(١) روى البخاري في صحيحه ٤/٢٣٧: عن عمرو بن ميمون قال رأيت في الجاهلية قردة اجتمع عليها قردة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم.

(٢) روى البخاري في صحيحه ٣/٦٧: عن النبي ﷺ قال بينما رجل راكب على بقرة، التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا خلقت للحراثة، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر، وأخذ الذئب شاة فتبعها الراعي، فقال الذئب: من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري، قال: آمنت به أنا وأبو بكر وعمر.

فقد نقل المزّي في تهذيبه: سمعت علي بن عثام، وقال له رجل: كيف حديث العقبة؟ قال: كيف يصحّ وهو كذب، من حدّث به فهو فاسق فاجر كاذب، فلمّا خرج السائل، قال: كلّكم يا بني حمان مزكوم، ما ذكر العقبة إنسان فيه خير، ثم قال لي : يزعم الرافضة أنّ عمر نفر برسول الله ﷺ ناقته، يعني ليلة العقبة كما قال الشيخ الخبيث[١].

فهذا المحدّث يتّهم كلّ من حدّث بحديث العقبة بالفسق والفجور، والسبب أنّ الرافضة -في ذلك الزمن- اتّهمت عمر بن الخطاب بذلك! علما أنّ هذه القضية لم تكن خاصّة بالشيعة بل حتّى رؤوس المعتزلة كانوا معتقدين بهذا الأمر ولذلك نقل عبد القاهر البغدادي عن النظّام المعتزلي: وطعن فى الفاروق عمر رضي عنه، وزعم أنّه شكّ يوم الحديبية فى دينه، وشكّ يوم وفاة النبى ﷺ وأنّه كان في من نفر بالنبي ﷺ ليلة العقبة[٢].

بل العجيب أنّ الحاكم النيسابوري رغم حبّه لعليّ وميله للتشيّع إلّا أنّه تأثّر بثقافة عصره وكان من المعترضين على هذا الخبر، بل من المانعين لنقله وتداوله بين الناس، ولذلك سجّل اعتراضا على مسلم بن الحجاج في روايته عن الوليد بن الجميع فقال: لو لم يذكره مسلم لكان أولى[٣]!

ومن هنا كانت فإنّ المعلومات الواصلة إلينا حول قضيّة العقبة شحيحة جدّا، وما وصل إلينا إلّا مجرّد نتف مشتّتة نجح بعض من يهمّه وصول الحقائق

---

(١) تهذيب الكمال ٢١/٦٢.

(٢) الفرق بين الفرق ١/١٣٣.

(٣) المغني في الضعفاء ٢/٤٩٥.

للأجيال القادمة في تسريبها.

واغلظ عليهم:

إنّ أحداث غزوة تبوك ومن بعدها مؤامرة العقبة كانت نقطة الانطلاق الحقيقية لتحرّك "حزب النفاق" في المدينة المنوّرة وبالتالي بداية افتضاح رؤوس النفاق بعد أن صمدوا طيلة السنين الماضية واستطاعوا أن يكتموا حقيقة ما في قلوبهم، وممّا تقدّم تبيّن لك لماذا سمّيت سورة التوبة بـ"الفاضحة" ولماذا اعتُبر جيش تبوك هو "جيش العسرة"، إذ أنّ المؤامرة كادت أن تذهب بالإسلام وأهله، ولذلك نقل أنّ النبي ﷺ: كان يجلس كلّ يوم على المنبر فيدعو ويقول "اللّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض"[١].

(١) تاريخ دمشق ٦٣/٣٩.

حجّة الوداع

لاشكّ أنّ أحداث تبوك كانت بمثابة نقطة التحوّل في المواجهة بين النبي ﷺ والمنافقين، وقد أدّت الحنكة النبويّة إلى توسّع دائرة الشبهة عند الناس، فلقد اكتشف المجتمع المدني وجود منافقين أعظم وأخطر من رؤوس النفاق المتمثّل في عبد الله بن أبي وحزبه، إذ رغم عداء هؤلاء للنبي ﷺ فإنّهم لم يحاولوا اغتياله طيلة تسع سنوات، وهم براء من قضيّة العقبة لكونهم لم يشاركوا في غزوة تبوك كما هو معلوم عند الكلّ، ومن هنا بدأ الحديث في المجتمع المدني عن وجود منافقين مندسّين لا يعرف أحد بنفاقهم وهو ما مهّد لنزول سورة التوبة المتضمّنة لجرس الإنذار الكبير: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ فهناك فئتان متواطئتان أعراب الخارج ومنافقو الداخل وعلى المسلمين الحذر منهما والتركيز على محاولة كشف المتورطين.

اجراءات صارمة:

رجع النبي ﷺ إلى المدينة المنورة وأعلن الحرب على "حزب النفاق" لاسيما بعد صدور الأمر الإلهي: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فكانت البداية بحرق بيت سويلم اليهودي الذي كان وكرا

للتخطيط لهذه المؤامرة[١]، ثمّ أتبعه بهدم مسجد ضرار وتسويته بالأرض[٢]، وأخيرا نزول القرآن الكريم بفضح كلّ هذه المؤامرات، فكان نزول سورة التوبة كالصاعقة على المجتمع المدني إذ أنّها كشفت المغطّى وأظهرت المستور وكانت "فاضحة" بالفعل.

إشارات نبويّة:

لم يحجّ النبي ﷺ في نفس السنة التي ذهب فيها إلى تبوك، بل أجّل حجّه إلى السنة التي تليها، إلّا أنّه استغلّ هذا الموسم لإيصال رسالة إلى عامّة الناس:

فقد كان هذا الحجّ مباشرة بعد نزول سورة "براءة"، ومن المفروض أن تبلّغ هذه السورة للحجيج المجتمعين في مكّة المكرّمة لاشتمالها على بعض أحكام الحرم المطهّر والتحذير من الشرك وأهله والنفاق وأهله كما تقدّم في الفصول السابقة، وقد كلّف أكبر أصحابه أبو بكر بن أبي قحافة للقيام بمهمّة الذهاب إلى مكّة وتبليغ السورة.

إلّا أنّه قد حصل في آخر لحظة ما غيّر كلّ المعطيات: فقد روي مسندا من طرق مختلفة أنّ النبي ﷺ قد منع أبا بكر من تبليغ السورة وكلّف عليّا بن أبي طالب عليه السلام بذلك، فقد ورد في مسند أحمد: عن علي عليه السلام قال: لمّا نزلت عشر آيات من براءة على النبي ﷺ، دعا النبي ﷺ أبا بكر فبعثه بها ليقرأها على أهل

(١) سيرة ابن هشام ٤/٩٤٤.

(٢) سيرة ابن هشام ٤/٩٥٦.

مكّة، ثم دعاني النبي ﷺ فقال لي: أدرك أبا بكر فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم، فلحقته بالجحفة فأخذت الكتاب منه، ورجع أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، نزل في شيء؟ قال: لا، ولكن جبريل جاءني فقال: لن يؤدّي عنك إلّا أنت أو رجل منك[١].

وهذا التصرّف النبوي إذا جعلناه ضمن سياقه التاريخي فإنّه قد يفهم من عدّة جهات:

فقد يكون المراد من هذا الأمر هو الإشارة إلى أنّ علي بن أبي طالب هو المرشّح الرسمي لخلافة النبي ﷺ بعد موته، نظير ما يحصل الآن إذا أراد أن يدفع الرئيس الحالي بمرشّح من طرفه للحكم، فإنّه يقوم بإيكال بعض المهامّ إليه وإظهاره لعامّة الناس بصورة تدفعهم إلى اختياره مستقبلا.

وقد يكون المراد من هذا التبليغ أكثر من مجرّد الترشيح النبوي، بل الاستعداد للتنصيب الرسمي المبني على توجيهات الوحي الربّاني، خصوصا مع التأكيد في الخبر على أنّ الوحي هو من اختاره والتعبير بـ"أنت أو رجل منك"، ولذلك نجد أنّ الشيعة قد استدلّوا بهذا الخبر على الاختيار الإلهي[٢].

والاحتمال الأخطر هو أنّ عزل أبي بكر عن هذا المنصب قد يكون لمانع فيه[٣]، وهو ما فهمه هو بنفسه فلذلك توجّه بالسؤال للنبي ﷺ هل نزل في أمره

---

(١) مسند أحمد ١/١١٥١ هذا الخبر منقول من مسند أحمد وهو حسن الإسناد كما نصّ على ذلك أحمد محمد شاكر كما في تعليقته على المسند ٢/١٣٥، ولو ضممنا إليه طرقه الأخرى الكثيرة يرتقي الحديث إلى درجة الصحّة.

(٢) نهج الحق وكشف الصدق ٢١٤.

(٣) وقد تمسّك الشيعة بهذا الاحتمال لنفي شرعيّة إمامة أبي بكر، قال العلامة الحلّي في كتاب الألفين ١٨١: أنّه ﷺ أنفذه لأداء سورة براءة، ثم أنفذ إليه عليا عليه السلام وأمره بردّه وأن يتولّى هو ذلك، ومن لا يصلح لأداء سورة أو

شيء من القرآن أم لا، وهذا الاحتمال هو الذي دعى جملة من المؤرّخين إلى الطعن في خبر والحكم عليه بالنكارة[١].

والذي يؤكّد على خطورة المضامين التي يحملها هذا الخبر هو محاولة بعضهم إخفاء اسم أبي بكر وعدم البوح به، فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده رواية طويلة تضمّنت جملة من فضائل عليّ عليه السلام، ولمّا وصل لخصوص هذا الموضع حذف اسم أبا بكر فقال: ثم بعث فلانا بسورة التوبة، فبعث عليّا خلفه فأخذها منه قال: لا يذهب بها إلّا رجل منّي وأنا منه[٢].

أمّا التبرير الذي ذكره ابن تيميّة من أنّ المسألة قبليّة بحتة[٣] فبعيد جدّا، إذ أنّ مثل هذه القضايا الحسّاسة لا يمكن فهمها من منطلق قبليّ، خصوصا مع التأكيد على أنّ الأمر كان وحيا إلهيّا فتأمّل، ولو تنزّلنا وقبلنا مثل هذا الطرح فإنّ الاشكال هو حول نصب أبي بكر في بداية الأمر ثم عزله، ألم يكن النبي صلى الله عليه وآله عارفا بعادات العرب وأعراف قبائلهم؟!

وبالنهاية سواء قبلنا بهذه الاحتمالات أو لم نقبل بها فإنّ هذه الحادثة وضعت نقاط استفهام كثيرة جدّا لاسيما مع الغموض الذي اكتنفته الأحداث السابقة في تبوك والعقبة، وبالتالي فإنّ الرسالة النبويّة الصامتة قد ضربت في الصميم وجعلت الكلّ يفكّر في الداعي لمثل هذا النصب ثم العزل خصوصا مع

بعضها، كيف يصلح للإمامة العامة المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع الأمة؟!

(١) البداية والنهاية ٥/٤٦.

(٢) مسند أحمد ١/٣٣٢؛ والسند حسن.

(٣) قال ابن تيميّة في منهاج السنة ٨/٢٩٦: ولكن أردفه بعلي لينبذ إلى المشركين عهدهم، لأنّ عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العقود ولا يحلّها إلّا المطاع، أو رجل من أهل بيته، فلم يكونوا يقبلون ذلك من كل أحد.

اعتقادهم بأنّه ﷺ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

النفير العام:

بدأ "حزب النفاق" إعداد العدّة لموسم الحجّ مع إعلان النبي ﷺ أنّه عازم على الحجّ في تلك السنة، وقد علموا أنّ هذه الرحلة ستكون حبلى بالأحداث المهمّة لسببين:

الأوّل: هو تلميح النبي ﷺ أنّه سينتقل إلى الرفيق الأعلى.

الثاني: ما حصل في موسم الحجّ الماضي في قضية سورة براءة.

وبالتالي فإنّ احتماليّة التعرّض لموضوع الخليفة بعده وحسم الأمر فيه واردة، بل لعلّه من المقطوع به أنّ هذا النبي ﷺ سيفصح عن اسم الخليفة الشرعي الذي سيكمل مسيرة الإسلام ويتولّى مقاليد الحكم وزمام الأمور، ومن هنا حرص "حزب النفاق" على التدخّل لتفادي ما يمكن أن يحصل في الحجّ فيفسد كلّ ما بنوه طيلة هذه السنين.

وقد بدأ العمل في جانبين:

الأول: التشكيك في ما يصدر من النبي ﷺ

الثاني: التشكيك في أهليّة علي عليه السلام المرشّح المحتمل للحكم

بداية اللعبة:

كانت الفرصة السانحة لـ"حزب النفاق" هي عند إعلان النبي ﷺ حكم مخالفا لحكم الجاهليّة وهو: عمرة التمتّع، أي يمكن للمحرم أن يأخذ عمرة ويحلّ منها فيجوز له كلّ شيء حتّى النساء، وأهل الجاهليّة: كانوا يرون أنّ العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرا ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر[١].

وكان هذا الحكم هو الفرصة الذهبيّة لبداية التمرّد على تعاليم النبي ﷺ، فقد تحرّك "حزب النفاق" وأثار النعرة الجاهليّة[٢] في الحجّاج بحيث لم يقبلوا من النبي ﷺ حكمه وتردّدوا في تطبيقه خصوصا وأنّه لم يلتزم هو به لكونه كان حجّه قرانا!

فقد روى مسلم في صحيحه: عن عائشة أنّها قالت: قدم رسول الله ﷺ لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس، فدخل عليّ وهو غضبان، فقلت: من أغضبك يا رسول الله أدخله الله النار، قال: أو ما شعرت أنّي أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون؟ -قال الحكم: كأنّهم يتردّدون أحسب- ولو أنّي استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي معي حتّى أشتريه ثم أحلّ كما حلّوا[٣].

وسبب غضبه هو تردّد الناس واعتراضهم على حكمه، وقد ورد ذكر

---

(١) صحيح البخاري ١٥٢/٢ .

(٢) لا شكّ أنّ النعرة الجاهليّة كانت حاضرة بقوّة عند المسلمين، ويدلّ على ذلك ما رواه البخاري ١٥٧/٢ عن عائشة أنّ النبي ﷺ قد قال لها: يا عائشة، لولا أنّ قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس إبراهيم.

(٣) صحيح مسلم ٣٣/٤.

تفصيل الأمر في رواية جابر بن عبد الله ﷺ: أهللنا أصحاب النبي ﷺ بالحج خالصا ليس معه غيره خالصا وحده، فقدمنا مكّة صبح رابعة مضت من ذي الحجة، فقال النبي ﷺ: "حلّوا واجعلوها عمرة"، فبلغه أنّا نقول لمّا لم يكن بيننا وبين عرفة إلّا خمس أمرنا أن نحلّ، فيروح إلى منى ناس منّا ومذاكيرنا تقطر منيًا، فخطبنا فقال: قد بلغني الذي قلتم، وإنّي لأتقاكم وأبرّكم ولولا الهدي لحللت، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، حلّوا واجعلوها عمرة[1].

ومن البعيد أن يكون غضب النبي ﷺ -المزكّى من الله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ والمعروف بحلمه- سببه مجرّد تساؤل من الناس، بل من المطمأنّ به أنّ هذا الغضب سببه حالة غير عفويّة في أوساط الحجّاج، وهذا ما يفسّر دفاعه عن نفسه بقوله: "وإنّي لأتقاكم وأبرّكم"، فالظاهر أنّ الطعن تجاوز مجرّد الحكم المشرّع حديثا إلى الطعن المباشر في شخصه.

إذن نحن أمام بداية حالة تمرّد يقودها "حزب النفاق" تهدف إلى التشكيك في كلّ ما يصدر عن النبي ﷺ وبالتالي الاستعداد لضرب أي قرار يصدر منه بخصوص خليفته المرتقب في موسم الحجّ.

ولكي تعرف من الذي قاد هذا التشكيك في أحكام النبي ﷺ فما عليك إلّا النظر في من تمسّك بهذا الحكم الجاهلي وحرّم حجّ التمتّع: فقد روى مسلم في صحيحه عن عمران بن الحصين قال: اعلم أنّ رسول الله ﷺ جمع بين حجّ وعمرة ثم لم ينزل فيها كتاب ولم ينهنا عنهما رسول الله ﷺ قال فيها رجل برأيه

(١) مسند أحمد ٣/٣١٧؛ إسناده صحيح

ما شاء[١].

وفي رواية أصرح منها عن أبي موسى: أنّه كان يفتي بالمتعة، فقال له رجل رويدك ببعض فتياك، فإنّك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد، حتّى لقيه بعد فسأله فقال عمر: قد علمت أنّ النبي ﷺ قد فعله وأصحابه، ولكن كرهت أن يظلّوا معرّسين بهنّ في الأراك ثم يروحون في الحج تقطر رؤسهم[٢].

وكما يرى القارىء الكريم أنّ حجّة عمر بن الخطاب هي نفس حجّة القوم الذين اعترضوا على النبي ﷺ وغضب منهم في حجّة الوداع!

وقد واصل عثمان بن عفّان سياسة المنع وشدّد فيه، فقد روى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن شقيق: كان عثمان ينهى عن المتعة وكان عليّ يأمر بها، فقال عثمان لعلي كلمة، ثم قال علي: لقد علمت أنّا قد تمتّعنا مع رسول الله ﷺ، فقال: أجل ولكنّا كنّا خائفين[٣].

وقد أخفى مسلم بن الحجّاج حقيقة ما صدر من عثمان في حقّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك أحمد في مسنده حيث أخفى العبارة فجعلها: فقال

---

(١) صحيح مسلم ٤/٤٨.

(٢) صحيح مسلم ٤/٤٦.

(٣) صحيح مسلم ٤/٤٦؛ العجيب تبرير عثمان أمر النبي ﷺ بالمتعة لأصحابه بأنه كان في حالة خوف، ونسي أنّ الحجّ كان بعد فتح مكّة واستتباب الأمر للمسلمين، ولذلك نجد أنّ بعض الرواة قد تعجّبوا من هذا اللفظ وسألوا عن هذا الخوف، فقد عقّب أحمد في مسنده ١/٦١ بهذه العبارة: قال شعبة: فقلت لقتادة: ما كان خوفهم؟ قال: لا أدري.

عثمان لعليّ إنّك كذا وكذا[١]، وغيّرها البزّار في مسنده: فقال عثمان لعلي في ذلك[٢]، إلّا أنّ بعض المصادر الأخرى قد ذكرت تفصيل ما قاله عثمان، فقد روى ابن حجر العسقلاني مسندا: إنّ عثمان بن عفان نهى عن العمرة في أشهر الحج أو عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فأهلّ بها عليّ مكانه فنزل عثمان عن المنبر، فأخذ شيئا فمشى به إلى عليّ، فقام طلحة والزبير فانتزعاه منه، فمشى إلى عليّ فكاد أن ينخس عينه بإصبعه، ويقول له: إنّك لضال مضل ولا يردّ علي عليه شيئا[٣].

ولعلّ هذا المقدار كاف لمعرفة من هي الفئة التي تحرّكت في حجّة الوداع وأثارة هذه الزوبعة حول حكم النبي ﷺ في عمرة التمتّع، إذ أنّ إصرارهم على إمضاء حكم الجاهليّة حتّى بعد ما قاله رسول الله ﷺ في حجّة الوداع خير دليل على ذلك.

المرشّح المحتمل:

لا شكّ أنّ من أبرز المرشّحين لخلافة النبي ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام لكونه صاحب سبق في الإسلام وجهاد منقطع النظير ومواقف مشرّفة طيلة ٢٢ سنة، كما أنّ قربه النسبيّ كان يمثّل عاملا مهمّا في تشكّل هذه النظرة، فذريّته المتمثّلة في الحسنين تعتبر الامتداد الطبيعي للنبي ﷺ، أضف إلى هذا

---

(١) صحيح مسلم ٤/٤٦.

(٢) مسند البزّار ٢/٦٢.

(٣) المطالب العالية ١٠/٤٤.

التصريحات المختلفة التي صدرت في حقّه كما تقدّم في حديث المنزلة[١] وقضيّة المباهلة[٢] وتبليغ سورة براءة[٣] والعشرات من المواقف[٤] التي لا يسع تعدادها في المقام.

ومن هنا كان هدف "حزب النفاق" هو إقصاء هذا المرشّح وإقناع الناس بعدم أهليّته لتقلّد هذا المنصب والاضطلاع بهذه المهمّة، ولذلك توجّهت سهامهم نحوه محاولة تصيّد زلّة تمكّن من تسقيطه وإبعاده عن هذا المنصب.

وقد كان علي بن أبي طالب قبيل الحجّ في اليمن بعد أن كلّفه النبي ﷺ بمهمّة هناك، وكانت هذه فرصة مناسبة للطعن فيه: فقد روى أحمد في مسنده: عن عبد الله بن بريدة، حدّثني أبي بريدة، قال: أبغضت عليّا بغضا لم يبغضه أحد قط، قال: وأحببت رجلا من قريش لم أحبّه إلّا على بغضه عليّا، قال: فبُعث ذلك الرجل على خيل، فصحبته، ما أصحبه إلّا على بغضه عليًّا، قال: فأصبنا سبيا، قال: فكتب إلى رسول الله ﷺ: ابعث إلينا من يخمّسه. قال: فبعث إلينا عليّا، وفي السبي وصيفة هي أفضل من السبي. فخمّس، وقسّم، فخرج رأسه مغطّى، فقلنا: يا أبا الحسن ما هذا؟ قال: ألم تروا إلى الوصيفة التي كانت في السبي، فإنّي قسمت وخمّست فصارت في الخمس، ثم صارت في أهل بيت النبي

---

(١) قول النبي ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى.

(٢) مباهلة نصارى نجران ونزول قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

(٣) تقدّم ذكر الحادثة في الفصل الماضي.

(٤) وقد ألّفت كثير من الكتب في ما ورد في حقّ علي عليه السلام من أهمّها كتاب "خصائص أمير المؤمنين علي" للنسائي والذي قتل فيما بعد بسبب تأليفه كما ذكرنا سابقا.

ﷺ، ثم صارت في آل علي، ووقعت بها، قال: فكتب الرجل إلى نبي الله ﷺ، فقلت: ابعثني، فبعثني مصدّقا، قال: فجعلتُ أقرأ الكتاب، وأقول: صدق، قال: فأمسك يدي والكتاب، وقال: أتبغض عليّا؟ قال: قلت: نعم، قال: فلا تبغضه، وإن كنت تحبّه فازدد له حبًّا، فوالذي نفس محمد بيده لنصيب آل علي في الخمس أفضل من وصيفة، قال: فما كان من الناس أحد بعد قول رسول الله ﷺ أحبّ إليّ من عليّ[1].

وهذه الرواية تكشف عن حقيقة خطيرة وهي تحوّل المنافسة إلى بغض صريح لعليّ عليه السلام بل قيام أحلاف بناء على بغض علي رغم ورود النصّ النبوي الصريح في أنّ مبغضه منافق[2]، والأهمّ من هذا هو الرجل الذي حاول الرواة إخفاء هويّته: فلماذا باحوا باسم بريدة ولم يخشوا شيئا وفي المقابل كتموا اسم الرجل الآخر؟

إنّ الجواب على هذا السؤال هو المفتاح لكثير من الأسئلة الأخرى، فبريدة الأسلمي ليس قرشيّا بل هوشخصيّة عادية يمكن البوح بها، لكنّ الشخص الثاني هو قرشيّ وله ثقل في المجتمع الإسلامي، إنّه: خالد بن الوليد.

والدليل على أنّه هو المقصود بالرجل ما رواه الحاكم في مستدركه: قال: حدّثني عبد الله بن بريدة الأسلمي، قال: إنّي لأمشي مع أبي، إذ مرّ بقوم ينقصون عليّا عليه السلام، يقولون فيه، فقام فقال: إنّي كنت أنال من علي، وفي نفسي عليه شيء،

---

(١) مسند أحمد ٣٥١/٥ حديث صحيح

(٢) صحيح مسلم ٦١/١: عن علي عليه السلام قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.

وكنت مع خالد بن الوليد في جيش، فأصابوا غنائم، فعمد علي إلى جارية من الخمس فأخذها لنفسه، وكان بين عليّ وبين خالد شيء، فقال خالد: هذه فرصتك، وقد عرف خالد الذي في نفسي على عليّ...[1].

فالخبر أصرح من سابقه من أنّ خالدا كان يتحيّن الفرصة للنيل من علي عليه السلام وتسقيطه ولذلك بادر بالكتابة للنبي ﷺ وإصدار شكوى في حقّه، بل وبعث بريدة الذي كان هو أيضا مبغضا لعلي بن أبي طالب عليه السلام، والبتالي فالفرصة سانحة لإثارة الرأي العام ضدّه خصوصا في قضيّة حسّاسة بنظر عامّة الناس وهي: توزيع الغنائم.

بل وردت رواية أخرى تتحدّث عن أربعة متآمرين أو أكثر، وهي ما أخرجه الحاكم في مستدركه عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله ﷺ سريّة واستعمل عليهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فمضى عليّ في السريّة فأصاب جارية فأنكروا ذلك عليه، فتعاقد أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ إذا لقينا النبي ﷺ أخبرناه بما صنع علي، قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ فنظروا إليه وسلّموا عليه ثم انصرفوا إلى رحالهم، فلمّا قدمت السرية سلّموا على رسول الله ﷺ، فقال أحد الأربعة: يا رسول الله، ألم تر أنّ عليّا صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثل ذلك فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال: يا رسول الله، ألم تر أنّ عليّا صنع كذا وكذا، فأقبل عليه رسول الله ﷺ والغضب في

---

(١) المستدرك ٢/١٢٩، عقّب الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وجهه، فقال: ما تريدون من علي؟ إنّ عليًا منّي وأنا منه ووليّ كل مؤمن[1].

وطريقة تعاطي رسول الله ﷺ مع شكوى هؤلاء الأربعة دليل على معرفته بحقيقة الحال، وأنّ ما يحصل ليس إلّا مؤامرة للطعن في علي عليه السلام وإقصائه من ساحة المنافسة.

ولم تكن هذه أوّل قارورة تكسر، فقد كان لـ"حزب النفاق" جولة أخرى في مسلسل الطعن في علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد روى البيهقي مسندا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنّه قال: بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى اليمن، قال أبو سعيد: فكنت ممن خرج معه، فلمّا أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا فكنا قد رأينا في إبلنا خللاً فأبى علينا، وقال: إنّما لكم منها سهم كما للمسلمين، قال: فلمّا فرغ عليّ وانطلق من اليمن راجعا أمّر علينا إنسانا وأسرع هو فأدرك الحجّ، فلمّا قضى حجّته قال له النبي ﷺ: ارجع إلى أصحابك حتّى تقدم عليهم، قال أبو سعيد: وقد كنّا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه نفعل، فلمّا جاء عرف في إبل الصدقة أن قد ركبت -رأى أثر المركب- فذمّ الذي أمّره ولامه، فقلت: إنّا إن شاء الله إن قدمت المدينة لأذكرنّ لرسول الله ﷺ ولأخبرنّه ما لقينا من الغلظة والتضييق، قال: فلمّا قدمنا المدينة غدوت إلى رسول الله ﷺ أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه، فلقيت أبا بكر خارجا من عند رسول الله ﷺ فوقف معي ورحب بي وسألني وسألته وقال: متى قدمت؟ قلت: قدمت البارحة، فرجع معي إلى رسول الله ﷺ فدخل فقال: هذا سعد بن مالك بن الشهيد، قال: ائذن له، فدخلت فحيّيت رسول الله ﷺ، وجاءني

---

(١) المستدرك ٣/١١١؛ عقّب الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وسلّم عليّ وسألني عن نفسي وعن أهلي فأحفى المسألة، فقلت له: يا رسول ﷺ ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق، فانتبذ رسول الله ﷺ وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتّى إذا كنت في وسط كلامي ضرب رسول الله ﷺ على فخذي وكنت منه قريباً ثم قال: سعد بن مالك الشهيد، مه بعض قولك لأخيك علي، فوالله لقد علمت أنّه أخشن في سبيل الله، قال فقلت في نفسي ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم وما أدري لا جرم والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية[1].

والظاهر من هذا الخبر أنّ أبا سعيد الخدري كان من المتأثّرين بالأجواء القرشيّة المبغضة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولذلك كان متحاملا عليه بشدّة، والمثير للاهتمام ذكره لأبي بكر في سياق هذا الخبر: فهل كان هو أيضا من المحرّضين على الإمام علي عليه السلام؟

إنّ هذا الخبر لا يعطينا جوابا صريحا على هذا السؤال لكن فيه إشعارا بذلك، وبمجموع الحادثتين يمكننا الاطمئنان بأنّ الجهة التي كانت تريد إقصاء علي عليه السلام تشمل القرشيّين، وهذا ما يرجع بنا إلى قضيّة العقبة ومحاولة حصر المتهمين في الأنصار، في حين أنّ الإشارات التي صدرت عن حذيفة كلّها تبثت أنّ الجماعة قرشيّون بامتياز.

---

(١) دلائل النبوّة ٥/٣٩٩؛ قال ابن كثير في كتاب السيرة النبوية ٤/٢٠٥: هذا إسناد جيّد على شرط النسائي ولم يروه أحد من أصحاب الكتب الستة.

يوم الملحمة:

كلّ ما صنعه "حزب النفاق" جعل الأعناق تشرئبّ وتطلّع إلى ما سيصنعه النبي ﷺ في يوم عرفة أمام بوادر هذا التمرّد، فإمّا أن يسكت عن الأمر فيحصل مراد القوم ويحقّقون نصرهم في هذه الجولة؟ أو يعلن الأمر فتحصل الفتنة التي أعدّوا العدّة لها وبالتالي تزداد احتماليّة حصول اقتتال داخلي في حرم الله مكّة المكرّمة وهذا ليس بمرغوب!

لكنّه ﷺ اتخذ أسلوبا آخر وهو التمهيد لهذا الخطب الجلل وتأجيل التصريح به لمورد آخر حتّى تهدأ الأمور وتخمد فورة "حزب النفاق"، فاكتفى في يوم عرفة بإعلان أنّ هذا الأمر لا يكون إلّا في أهل بيته ﷺ ولا يخرج منهم لغيرهم، وهذا الخيار الجديد لم يعدّوا له العدّة ولم يعرفوا كيف يتعاملوا معه ولذلك لم تصدر منهم أيّة ردّة فعل.

نعم قد تسأل أين هذا التصريح في خطبة يوم عرفة؟

فالخطبة معروفة مشهورة ولم يرد فيها أي إشارة إلى هذه الأمر؟

والجواب أنّ خطبته قد تعمّدوا اختصارها ولم يرووا كلّ فقراتها، فبحسب رواية مسلم عن الصحابي الجليل جابر ﷺ: حتّى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحّلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس وقال: إنّ دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإنّ أوّل دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بنى سعد

فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأوّل ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فإنّه موضوع كلّه، فاتّقوا الله في النساء فإنّكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرّح، ولهنّ عليكم رزقهنّ كسوتهنّ بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عنّي فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت وأدّيت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللّهُمَّ اشهد اللّهُمَّ اشهد ثلاث مرات[١].

ولكنّ الحقيقة أنّ الرواة بتروا آخر الوصيّة فجعلوا الاعتصام بخصوص كتاب الله والحال أنّ نفس هذا الخبر قد روي عن جابر الأنصاري في مورد آخر مع إضافة مهمّة، قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول: يا أيّها الناس إنّي تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي[٢].

والعجيب أنّ ابن هشام قد نقل الخطبة مطوّلة في سيرته، ولمّا وصل إلى هذا الموضع حرّف الخطبة تحريفا قبيحا، فقال: وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا أمرا بيّنا: كتاب الله وسنّة نبيّه[٣].

نعم، إنّ رسول الله قد بيّن في يوم عرفة طريق الحقّ، وهو التمسّك بكتاب

---

(١) صحيح مسلم ٤١/٤.

(٢) سنن الترمذي ٣٢٨/٥؛ صحّح الألباني الحديث في السلسلة الصحيحة ٣٥٦/٤.

(٣) سيرة ابن هشام ١٠/٦.

الله وعترته، وأنّ الهداية لا تكون إلّا في هذا الطريق والضلال في غيره، وعرّف الناس مقام أهل بيته، لكنّه لم يصرّح بمن هو الخليفة على التعيين، وهذا ما جعل "حزب النفاق" يتنفّسون الصعداء، فعدم التصريح بالخلافة في هذا الحشد الجماهيري يسهّل مهمّتهم في حسم الأمر بالمدينة المنورة إذ أنّها مركز قوّتهم لاسيما إذا تواصلت حملتهم في التشكيك في ما يصدر عن النبي ﷺ والطعن في وصيّه المحتمل، ولذلك لم يصدر منهم أيّ شيء في حجّة الوداع سوى ما تقدّم.

مفاجأة غير متوقّعة:

انقضت مراسم الحجّ، وقفل المسلمون راجعون إلى بلدانهم، وبدأ "حزب النفاق" يخطّط لما بعد الوصول للمدينة فقد تجنّبوا الأسوأ وسارت الأمور كما يريدون، لكن حصلت مفاجأة لم يحسب لها أحد منهم حسابا، بل لم تخطر حتّى على بال واحد منهم:

فبعد خروجهم من مكّة المكرّمة توقّف النبي ﷺ وأعلن إعلانا عامّا حدّد فيه مصير الإسلام من بعده ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ فالإسم الذي أجّل إعلانه في مكّة قد صرّح به في "خمّ" المنطقة التي توقّف فيه بعد تسعة أيّام من يوم عرفة أي في الثامن عشر من ذي الحجة وأعلنها مدويّة: "من كنت مولاه فعليّ مولاه"، وهذا ما عُرف فيما بعد بـ"حديث الغدير" وهو مستند الشيعة الأساسي على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

أمّا صحيح البخاري فقد تجاهل هذا الإعلان ولم يعر له أي اهتمام، وأمّا

صحيح مسلم فقد وردت فيه إشارة عابرة لهذه الحادثة مرويّة عن زيد بن أرقم، والرواية كالتالي: حدّثني يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلمّا جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصلّيت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدّثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمّا بين مكّة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر ثم قال: أمّا بعد ألا أيّها الناس، فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنّور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه ثم قال: وأهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي أذكّركم الله في أهل بيتي[1].

وهذا الخبر على اختصاره احتوى أمورا مهمّة:

الأوّل: أنّ ما قاله النبي ﷺ في الغدير كان بمثابة الوصيّة الأخيرة له، ولم يكن مجرّد حديث عابر ولذلك بدأ كلامه بترسيخ هذا المعنى: "فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب"، فمثل هذه العبارة تدلّ على أهميّة ما سيأتي بعدها لاسيما إذا كان الكلام صادر من نبي مرسل وزعيم لدولة قويّة، فمن الطبيعي أن تحدّد وصيّته الأخيرة مستقبل الدولة.

---

(١) صحيح مسلم ١٢٢/٧.

الثاني: لقد دلّ هذا الحديث الصحيح على أنّ النبي ﷺ قد خطب خطبة كاملة في يوم الغدير فليس كلام النبي ﷺ محصورا في قوله: "من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه" كما يذكر المحدّثون والمؤرّخون، بل كان نصّا متكاملا حسم فيه كلّ ما يتعلّق بمستقبل الحكم.

الثالث: إنّ حديث الثقلين ذكر في يوم الغدير كما ذكر من قبل في يوم عرفة، وهو بمثابة الرابط بين الحدثين، فكأنّ رسول الله يقول ما أجملناه هناك نفصّله هنا، وقد روي عن زيد بن أرقم بطريق آخر مجموع الحديثين في سياق واحد، قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ من حجّة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن، فقال: كأنّي قد دعيت فأجبت، إنّي قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله تعالى وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، ثم قال: إنّ الله عزّ وجل مولاي وأنا مولى كل مؤمن، ثم أخذ بيد علي ﷺ، فقال: من كنت مولاه فهذا وليه اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه[1].

ورويت الحادثة كاملة عن علي عليه السلام نفسه: إنّ النبي ﷺ حضر الشجرة بخم، ثم خرج آخذا بيد علي عليه السلام قال: ألستم تشهدون أنّ الله تبارك وتعالى ربكم؟ قالوا: بلى، قال ﷺ: ألستم تشهدون أنّ الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله تعالى ورسوله أولياؤكم؟ فقالوا: بلى، قال: فمن كان الله ورسوله مولاه فإن هذا مولاه، وقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا كتاب الله

---

(١) المستدرك على الصحيحين ١٠٩/٣، عقب الحاكم بقوله: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله.

تعالى، سببه بيدي، وسببه بأيديكم، وأهل بيتي[١].

الرابع: إنّ هذا الخبر مشعر بأنّ زيد بن أرقم كان يعيش حالة تقيّة وخوف من البوح بهذا الحديث، والظاهر أنّ السبب في ذلك هي الرقابة المفروضة من قبل حكّام ذلك الزمان على من يحمل حديث رسول الله ﷺ، لاسيما الأحاديث الحسّاسة التي من شأنها أن تغيّر مجرى الأحداث وتكشف الحقائق، ولذلك نجده يطلب من زوّاره عدم سؤاله: " والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدّثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلّفونيه".

وهذه الرقابة على الحديث جعلته صعبا مستصعبا التصديق حتّى على بعض صغار الصحابة، فقد نقلوا عن أبي الطفيل قال: جمع عليّ الناس في الرحبة، ثم قال لهم: أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام، فقام ثلاثون من الناس، وقال أبو نعيم: فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس أتعلمون أنّي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قالوا: نعم يا رسول الله، قال: من كنت مولاه فهذا مولاه، اللّهُمَّ وال من والاه وعاد من عاداه، قال: فخرجت وكأنّ في نفسي شيئا، فلقيت زيد بن أرقم، فقلت له: إنّي سمعت عليا عليه السلام يقول كذا وكذا، قال: فما تنكر؟ قد سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك له[٢].

فرغم أنّ الحادثة كانت جماهيريّة وحضرها مجموعة كبيرة من الصحابة

---

(١) المطالب العالية ١٦/١٤٢؛ قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: هذا إسناد صحيح.

(٢) مسند أحمد ٤/٣٧٠؛ صحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤/٣٣١.

حتّى قال جابر: كنّا بالجحفة بغدير خم، وثمّ ناس كثير من جهينة ومزينة وغفار[١]، إلّا أنّ بعض الصحابة مثل أبي الطفيل لم يكن عنده أيّ علم عن هذا الحديث بل نقله لزيد بن أرقم مستنكرا!

والذي يدلّ على وجود هذه الرقابة حول الغدير ما نقل عن أحمد بن حنبل إمام الحنابلة وزعيم أهل الحديث حيث نقل الخلال في كتاب السنّة: أخبرنا زكريا بن يحيى، أنّ أبا طالب حدّثهم، أنّه سأل أبا عبد الله عن قول النبي ﷺ لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه، ما وجهه؟ قال: لا تكلّم في هذا، دع الحديث كما جاء[٢].

فإن كان معنى الحديث واضحا ولا إشكال فيه، ولا تتعدّى دلالته الحثّ على محبّة علي كما هي الثقافة المذهبيّة السنيّة: لماذا امتنع أحمد بن حنبل عن شرحه لمن سأله عنه؟ بل نهاه عن التكلّم فيه أصلا! ألا يدلّ هذا على أنّ أحمد قد أحسّ بخطورة معنى هذا الحديث على عامّة الناس فسكت عنه؟

إنّ فهم هذا المضمون لا يحتاج كلّ ما يثار في كتب الكلام والعقائد وفي أروقة الحوارات المذهبيّة، بل يكفي مجرّد القراءة الموضوعية لإدراك معناه:

فمن يتتبّع طرق الحديث يجد أنّه قد وردت فيها عدّة إشارات يمكن من خلالها تحديد في أي ساعة من ساعات النهار حصلت هذه الحادثة المهمّة: لا سيما روايات زيد بن أرقم والتي فيها: (فخرج رسول الله ﷺ إلينا ظهرا[٣])،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٥/٨؛ قال الذهبي: حديث عال حسن جدّا.

(٢) السنة للخلال ٣١٤٧؛ قال المحقّق: إسناده صحيح.

(٣) مسند أحمد ٣٦٨/٤.

وقال في بعض ألفاظ الحديث:(في يوم ما أتى علينا يوم كان أشدّ حرّا منه[١])، أو ما نقله البراء بن عازب: (فنودي فينا الصلاة جامعة[٢]).

وبمجموع هذه النقولات نصل إلى هذه النتيجة: وهو أنّ هذا الاجتماع الكبير حصل في وقت الظهيرة قبيل صلاة الظهر في يوم شديد الحرّ، بل بحسب تعبير زيد بن أرقم في أشدّ الأيّام حرارة!

والسؤال هنا: هل من المعقول أن يجمع النبي ﷺ في مثل هذا الحرّ الشديد الذي لم يطقه حتّى أهل الحجاز مثل زيد بن الأرقم، ليخبر الناس بأمر معروف ومعلوم عندهم وهو محبّة علي عليه السلام؟!

إنّ لزمان وقوع الحدث مدخليّة كبيرة في تقييم خطورته، فلو طرق بابك أحد الصباح فستعتقد أنّ الأمر اعتيادي، لكن لو طرق باب بيتك بعد منتصف الليل ستجزم أنّ طارق الباب يريدك في أمر خطير، وعليه لو فتحت الباب وعلمت أنّه يريدك في أمر اعتيادي فإنّه يحقّ لك أن تعترض عليه وتصفه بالسفاهة.

وكذلك للإطار المكاني دور كبير في فهم هذه الحادثة المباركة، إذ أنّ اختيار هذا المكان المخصوص (غدير خم) لم يكن اعتباطا:

فهذا المكان وصفه بعض من زاره بقوله: وليس الغدير على طريق القوافل إلى المدينة، ولكنّه شرق الطريق غير بعيد عنه يميل إليه المسافرون لوجود الماء الي يجتمع في الغدير، وأرضه سهلة منبسطة، وفيه شجر ملتفّ في غيضة تسمّى

---

(١) المستدرك ٣/٥٣٣.

(٢) مسند أحمد ٤/٢٨١.

خمًا سمّي الغدير باسمها فقيل (غدير خم)، ولذا فهو من أماكن نزول المسافرين للتزود بالماء ووجود الظل وانبساط الأرض[١].

إذن فهذا المكان فيه ثلاث مواصفات مهمّة: انبساط أرضه، ووجود الظلّ، والأهمّ من هذا وجود الماء، وهذه العوامل الثلاثة تضمن أهمّ مناخ يمكن أن يوجد ليجتمع فيه الناس، وبتعبيرنا الآن غدير خم هو أكبر قاعة مؤتمرات يمكن تحصيلها في ذلك الزمن توفّرت فيها كلّ مقوّمات الراحة.

ولهذا فإنّ صاحب الكلام السابق عقّب بقوله: ولعلّ هذا من أسباب اختياره ﷺ لخطبته، وذلك لانبساط أرضه وسهولتها، فيسهل اجتماع الناس فيه وجلوسهم حول النبي ﷺ، وهو بهذا يشبه وادي عرنة الذي خطب فيه النبي ﷺ يوم عرفة، فهو واد أفيح فسيح دمث الأرض يسهل اجتماع الناس فيه وجلوسهم عليه[٢].

ومن اللطائف ما عرف عن "غدير خم" من كون ارتداد الصوت فيه عال جدًا، بحيث إذا تكلّم أحد بكلام خافت سمعه من كان بعيدا عنه، ولعلّ هذا من أسباب اختيار المكان إذ أنّه يضمن سماع الجميع لما يقول النبي ﷺ.

وهنا يأتي السؤال المهمّ: إذا كانت قضيّة الغدير أمرا عرضيًا، فلماذا اختار النبي ﷺ الذي لا ﴿يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ المكان بهذه العناية، بحيث كان المكان المختار مشابها لمكان خطبته في يوم عرفة؟ أليس هذا دليلا على أنّ ما سيخبر به النبي ﷺ لا يقلّ أهميّة عمّا أخبر به في خطبة الحجّ؟

---

(١) حديث الغدير ٣٠.

(٢) حديث الغدير ٣٠.

والأهمّ من كلّ هذا نجد أنّ بعض الصحابة قد صدر منهم ما يخدم هذا الفهم للحديث، فقد ورد في بعض الطرق: فلقيه عمر بعد ذلك فقال له هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة[١].

إنّ كلّ هذه المؤشّرات تثبت صحّة التحليل الذي طرحناها، وهو أنّ الذي كان يوم الغدير هو إعلام رسمي من النبي ﷺ بخليفته من بعده، بل هو تنصيب حقيقيّ له، خصوصا مع رمزيّة رفع اليد[٢] وإلباسه عمامته[٣] كما ورد في بعض طرق الحديث الكثيرة، ولو سلمت خطبة الغدير من رقابة السياسيين والمحدّثين ووصلت لنا كاملة لعرف كلّ العالم حقيقة ما حصل في ذلك اليوم.

وقد سلمت مصادر الشيعة من هذه الرقابة فنقلت كلّ خطبة النبي ﷺ الطويلة في هذا اليوم وفصّلت في أحداث هذا اليوم تفصيلا، وتجاوز الأمر مجرّد التنصيب إلى حصول بيعة حقيقيّة في ذلك اليوم:...فناداه القوم: سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا وألسنتنا وأيدينا وتداكّوا على رسول الله وعلى علي عليه السلام فصافقوا بأيديهم، فكان أوّل من صافق رسول الله ﷺ الأول والثاني والثالث والرابع والخامس وباقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس على طبقاتهم وقدر منازلهم، إلى أن صليت المغرب والعتمة في وقت واحد، وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثا ورسول الله يقول كلما بايع قوم: الحمد لله الذي فضلنا على جميع

---

(١) مسند أحمد ٤/٢٨١.

(٢) مسند أحمد ٤/١٨١، سنن ابن ماجة ١/٤٣، المستدرك ٣/٥٣٣.

(٣) سنن البيهقي ١٠/١٤: عن أبي راشد الحبراني، سمعت عليّا يقول: عمّمني رسول الله ﷺ يوم غدير خم بعمامة سدلها خلفي.

العالمين[١].

وممّا ذكرناه تبيّن الجواب على السؤال الذي دائما ما يطرح: إذا كان الغدير تنصيبا لعلي عليه السلام، فلماذا لم يحصل هذا الأمر في مكّة وتحديدا في يوم عرفة مع اجتماع الناس من شتّى البلدان في صعيد واحد ووقت واحد؟

إذ أنّه لو حصل هذا الأمر لاستطاع المنافقون التشويش على النبي صلى الله عليه وآله وإثارة الفتنة في بيت الله الحرام لأنّهم كانوا على أتمّ الاستعداد لذلك كما قدّمنا، لكنّ حنكة النبي صلى الله عليه وآله والتسديد الإلهي جعله يستخدم عنصر المفاجأة ليباغت القوم بهذا الإعلان المفاجيء في مكان وزمان لا يخطر على البال، فمن الذي يتوقّع أن يكون الإعلان في صحراء خالية في حرّ الظهيرة؟!

ولهذا لم يكن للمنافقين أيّ ردّة فعل حقيقيّة إلّا ما نقل من قصّة الحارث بن النعمان الفهري[٢]، ومرّ التنصيب بسلام دون أيّ تشويش، ومن هنا وجد "حزب النفاق" نفسه في مأزق حقيقيّ حيث باءت جميع خططه بالفشل وحصل ما كانوا يخشونه، فالآن لا يواجهون النبي صلى الله عليه وآله بل يواجهون خليفته الشرعي أيضا: علي بن أبي طالب عليه السلام.

عقبة أخرى؟

تحدّثت مصادر الشيعة عن وجود محاولة اغتيال أخرى للنبي صلى الله عليه وآله حصلت

---

(١) الاحتجاج ١/١٦٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٨/٢٧٨.

بعد بيعة الغدير: فقد روى علي بن إبراهيم القمّي في تفسيره بعد ذكره لأحداث يوم الغدير: فقال أصحابه الذين ارتدوا بعده: قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال وقال ههنا ما قال، وإن رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له، فاجتمعوا أربعة عشر نفرا وتآمروا على قتل رسول الله ﷺ وقعدوا في العقبة، وهي عقبة هرشى بين الجحفة والأبواء، فقعدوا سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله ﷺ، فلمّا جنّ الليل تقدّم رسول الله ﷺ في تلك الليلة العسكر فأقبل ينعس على ناقته، فلمّا دنا من العقبة ناداه جبرئيل: يا محمد، إنّ فلانا وفلانا وفلانا قد قعدوا لك، فنظر رسول الله ﷺ فقال: من هذا خلفي؟ فقال حذيفة اليماني: أنا يا رسول الله حذيفة بن اليمان، قال: سمعت ما سمعت؟ قال: بلى، قال: فاكتم، ثمّ دنا رسول الله ﷺ منهم فناداهم بأسمائهم، فلمّا سمعوا نداء رسول الله ﷺ فرّوا ودخلوا في غمار الناس، وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول الله ﷺ وطلبوهم، وانتهى رسول الله ﷺ إلى رواحلهم فعرفهم، فلمّا نزل قال: ما بال أقوام تحالفوا في الكعبة إن مات محمد أو قتل ألّا يردوا هذا الأمر في أهل بيته أبدا؟ فجاؤوا إلى رسول الله ﷺ فحلفوا أنّهم لم يقولوا من ذلك شيئا ولم يريدوه ولم يكتموا شيئا من رسول الله ﷺ[1].

وهذه القصّة قد يرفضها القارئ لأوّل وهلة لأنّ كتب التاريخ لم تتحدّث إلّا عن محاولة اغتيال واحدة لم تشفع بثانية وهذا ما يضعّف مصداقيّة هذه الرواية، إلّا أنّ التنقيب في كتب التاريخ يثبت أنّ المؤرّخين قد أشاروا إلى هذه القضيّة أيضا، وعليه فنحن لا نتحدّث عن عقبة واحدة بل عن عقبتين أولاهما

---

(١) تفسير القمي ١/١٧٤.

"عقبة تبوك" والثانية "عقبة هرشى":

فقد روى الطبراني في معجمه رواية تطابق معنى ولفظا رواية تفسير القمّي، قال: قلنا كيف أصاب حذيفة ما لم يصب أبو بكر ولا عمر؟ قال صلة بن زفر: قد والله سألنا حذيفة عن ذلك، فقال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في مسير ذات ليلة فأدلجنا دلجة فنعس رسول الله ﷺ على راحلته، فقال أناس: لو دفعناه الساعة فوقع فاندقّت عنقه استرحنا منه، فلمّا سمعتهم تقدّمتهم فسرت بينه وبينهم فجعلت أقرأ سورة من القرآن فاستيقظ رسول الله ﷺ فقال: من هذا؟ قلت: حذيفة يا رسول الله، قال: أدن، فدنوت فقال: ما سمعت هؤلاء خلفك ما قالوا؟ قلت: بلى يا رسول الله ولذلك سرت بينك وبينهم، قال: أما إنّهم منافقون فلان وفلان وفلان[1].

وهذه الرواية تختلف عن قضيّة العقبة من عدّة جوانب:

الأوّل: ففي خبر العقبة نجد تصريحا بأنّ عمّار كان موجودا في الحادثة وهو المتولّي لناقة رسول الله: "كان يقوده حذيفة ويسوق به عمار[2]" أمّا في هذا الخبر فلا يوجد أيّ ذكر لعمّار.

الثاني: من يقرأ خبر عقبة تبوك يجد أنّ النبي ﷺ كان مستيقظا ولذلك أمر مناديه بمنع الناس من المرور من العقبة وهو الذي تولّى إرشاد عمّار وحذيفة لطريقة التعامل مع الموقف، أمّا في هذا الخبر فإنّ النبي ﷺ كان نائما في بدء الأمر واستيقظ على صوت قراءة حذيفة للقرآن.

---

(١) المعجم الكبير ١٦٤/٣.

(٢) مسند أحمد ٤٥٣/٥.

الثالث: أنّ حذيفة لم يكن عالما بنوايا القوم إلّا عندما هجموا على النبي ﷺ في رواية عقبة تبوك، أمّا في هذا الخبر فقد علم حذيفة ما يريده القوم لمّا سمعهم يتناجون فيما بينهم " فقال أناس: لو دفعناه الساعة فوقع فاندقّت عنقه استرحنا منه، فلمّا سمعتهم تقدّمتهم[١]".

الرابع: أنّ الذي منع اغتيال النبي ﷺ في خبر العقبة هو اشتباك عمّار مع القوم: "غشوا عمارا وهو يسوق برسول الله ﷺ وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل[٢]"، أمّا في هذه الحادثة فإنّ سير حذيفة بينه وبينهم كان حائلا دون ذلك، ولعلّ ما جرى في الحادثة السابقة جعلهم يخافون من تكرار الفضيحة.

فإذن هي حادثة أخرى تختلف عن حادثة تبوك، إلّا أنّها تشترك معها في عدّة أمور فكلا الحادثتين وقعتا في عقبة، وكليهما كان حذيفة بن اليمان حاضرا وله دور فيهما، وطريقة الاغتيال كانت واحدة في الحادثتين ومن هنا اختلط على المؤرّخين الأمر بينهما ودمجوا الروايتين دمجا، فوضعوا كلّ روايات حذيفة الواردة حول قضيّة الاغتيال تحت عنوان "عقبة تبوك" في حين أنّ أغلب الروايات لم تحدّد أيّ عقبة كانت وهكذا اختلط الحابل بالنابل، ولعلّ السبب الآخر الذي قلّل من انتشار هذه الحادثة هو أنّه لم يبادروا بالتنفيذ كما في قضيّة تبوك بل أعرضوا عن الأمر بمجرّد رؤية حذيفة بن اليمان ولهذا لم يعلم بها عامّة الناس وبقيت محصورة بين الخواص.

والمتتبّع لكتب التاريخ والحديث والسير يجد شواهد متفرّقة يمكن أن

---

(١) المعجم الكبير ٣/١٦٤.

(٢) مسند أحمد ٥/٣٥٣.

تثبت صحّة هذه الحادثة:

الشاهد الأوّل: روى البوصيري في الإتحاف بسنده: عن أبي هريرة قال: "هبطت مع النبي ﷺ من ثنية هرشى فانقطع شسعه فناولته شسعي، فأبى أن يقبلها وجلس في ظلّ شجرة ليصلح نعله، فقال لي: انظر من ترى، قلت: هذا فلان، قال: بئس عبد الله فلان، ثم قال لي: انظر من ترى، قلت: هذا فلان، قال: بئس عبد الله فلان، ثم قال لي: انظر من ترى، قلت: هذا فلان، قال: نعم عبد الله فلان، فالذي قال له: نعم عبد الله فلان خالد بن الوليد، وأمّا الآخران فلا أسمّيهما أبدا[1].

والإطار المكاني لهذا الخبر مصرّح به وهو "عقبة هرشى" مكان الحادثة، أمّا الإطار الزماني فهو حجّة الوداع بقرينة وجود أبي هريرة الذي لم يُعلم أنّ النبي ﷺ قد ذهب لمكّة بعد إسلامه سوى في حجّة الوداع، وبالتالي فالرواية تتّفق زمانا ومكانا مع الحادثة التي نحن بصدد الحديث عنها، أمّا موضع الشاهد فيها فهو ذمّ النبي ﷺ رجلين نزلا من العقبة بعده، بل الإصرار على إبلاغ هذا الذم لأبي هريرة، والسؤال الذي يطرح: ما هو الداعي لمثل هذا القول؟!

والأعجب ممّا تقدّم هو التعرّض لخالد بن الوليد، حيث نقلوا أنّه نزل من هذه العقبة بعد النبي ﷺ كما في بعض الطرق الأخرى للحديث: "متدلّيا من هرشى"، وأنّه المقصود من قول النبي ﷺ بقوله: "نعم عبد الله فلان"، فلماذا طعن رسول الله ﷺ في رجلين ومدح ثالثا؟ ولماذا يحاول أبو هريرة إقناع الناس بأنّ الممدوح هو خالد؟ إنّها فعلا أسئلة محيّرة بالنسبة لكلّ باحث تاريخي لكنّ

---

(١) إتحاف الخيرة المهرة ٤/٥٢٢.

المقدار المطمأنّ به أنّ هذه الرواية لها علاقة بحادثة الاغتيال، ولو وصلتنا كاملة لكان الأمر أوضح.

والأمر الآخر الذي لا بدّ من الوقوف عنده هو: خوف أبي هريرة من البوح بأسماء من ذمّهم رسول الله ﷺ، فإن كانا من مشاهير المنافقين الذين يعرفهم حتّى الصغير فما فائدة كتمان أمر معروف مشهور؟ وإن كانا من الذين مردوا على النفاق فلماذا يخاف منهم أبو هريرة؟ الجواب نجده في نفس كلام أبي هريرة حيث قال في مورد آخر: حفظت عن رسول الله ﷺ وعاءين فأمّا أحدهما فبثثته وأمّا الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم[١].

وهذا الحديث من الوعاء الثاني الذي يتحدّث عنه أبو هريرة، إذ يظهر أنّ هذه الأسماء كان لها نفوذ كبير وسلطة قويّة بحيث لو أحسّوا بالخطر من أيّ شخص فقد يقتلونه وإن كان أبو هريرة، ولذلك نجد أنّ الحفّاظ قد حذفوا صدر الرواية[٢] وتركوا منها فقد "نعم عبد الله خالد" رغم أنّ إسمه لم يرد في الحديث بل هو تفسير من أبي هريرة!

الشاهد الثاني: روى نعيم بن حماد خبرا عن سالم بن عبد الله بن عمر أنّه قال ونحن هابطون من هرشى، ونظر إلى جبل عن يساره، فقال: يحشر الناس فلا يبقى إلّا رجلين في هذا الجبل، فيقول أحدهما لصاحبه: يا فلان اذهب فانظر ما فعل الناس، فإذا حاذيا هذه الثنية ثنية هرشى حشرا على وجوههما[٣].

---

(١) صحيح البخاري ١/٣٨.

(٢) مثل: أحمد في مسنده ٢/٣٦٠، ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/٢٤٥.

(٣) الفتن ٣٨١.

وهذه الرواية تخبر عن رجلين يحشران على وجوههما في ثنيّة هرشى، حشر الرجلين في ثنيّة هرشى ليس لأنّهما آخر من بقيا من الناس إذ أنّ صريح القرآن ينصّ على أنّ الحشر يكون للجميع دفعة واحدة ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فلا يحتمل بقاء رجلين بدون سبب كما ينصّ الخبر، بل إنّ المحتمل بقوّة أنّ ربط حشر الرجلين بهرشى هو بسبب شيء ارتكباه فيها، وهذا ما يرجعنا إلى الشاهد الأوّل الذي ذكرناه وفي هذكر للرجلين الذين امتنع أبو هريرة عن تسميتهما!

والعجيب ما ورد في البخاري عن أبي هريرة حيث قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: يتركون المدينة على خير ما كانت لا يغشاها إلّا العواف يريد عوافي السباع والطير، وآخر من يحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما فيجدانها وحوشا حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما[1].

وهذه الرواية بهذه الصياغة قريبة من جهة المضمون من الرواية التي ذكرناها لكنّ التفاصيل المذكورة فيها تبعدها عن الاحتمال الذي ذكرناه، إلّا أنّ شرّاح الحديث قد نصّوا على أمر مهم يقوّي احتمالنا أكثر، فقد نصّ ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الخبر: قوله "وآخر من يحشر راعيان من مزينة"، هذا يحتمل أن يكون حديثا آخر مستقلّا لا تعلّق له بالذي قبله ويحتمل أن يكون من تتمة الحديث الذي قبله وعلى هذين الاحتمالين يترتب الاختلاف الذي حكيته عن القرطبي والنووي والثاني أظهر كما قال النووي[2].

---

(١) صحيح البخاري ٢/٢٢٢.

(٢) فتح الباري ٤/٧٨.

وكلامه يضعنا أمام قرينة جديدة وهي أنّ أبا هريرة أو الرواة الذين جاؤوا بعده قد ضيّعوا معنى الحديث بدمجه مع غيره بحيث يصبح الأمر متعلّقا بالمدينة وأهلها وليس خاصّا برجلين كما في الخبر الأوّل، أمّا تحديدهما براعيين من مزينة فلا شكّ أنّه داخل تحت سياسة إخفاء مدلول الحديث، والمحصّل أنّ وراء الأكمة ما وراءها.

الشاهد الثالث: تحدّثت بعض المصادر عن قضيّة حصلت لعائشة بنت أبي بكر في نفس المكان الذي نحن بصدد البحث فيه "عقبة هرشى"، فقد روى الحموي في معجمه: ابن أبي ذئب عن عمران بن قشير عن سالم بن سيلان قال: سمعت عائشة وهي بالبيض من يمني بسفح هرشى وأخذت مروة من المرو فقالت: وددت أنّي هذه المروة[1].

وهذا التعبير يستعمل عادة للتعبير عن الندم والحسرة كما هو معروف عند أهل اللغة، وتعبيرها بـ"هذه المروة" دليل على أنّ لهذا المكان خصوصيّة وعلاقة بالأمر الذي تتندّم عليه، فهل كانت تشير إلى محاولة اغتيال النبي في "عقبة هرشى"؟ وإذا كان الأمر كذلك فماهي علاقتها بهذه المكيدة: هل كان لها يد في ذلك أم كانت تعلم ولم تخبر رسول الله ﷺ عن نوايا القوم؟ كلّ هذه مجرّد محتملات قد تتقوّى بعضها بالأسماء التي سرّبت حول من شارك في مؤامرة "عقبة تبوك" لكن بالنهاية لازلنا أمام لغز حقيقيّ.

الشاهد الرابع: نقلت بعض المصادر رواية تتحدّث عن صعود النبي ﷺ هذه العقبة، فقد روي: عن سعيد بن إبراهيم، عن زيد بن خالد الجهني: أن رسول

---

(١) معجم البلدان ٤٤٩/٥.

الله ﷺ قال له وهو يصعد في ثنية هرشى: يا زيد، ما تعوّذ الأوّلون بمثل: "قل أعوذ برب الفلق"، و"قل أعوذ برب الناس"[١].

وهذا الخبر فيه أمر غريب جدًا، إذ أنّ الراوي لم يكتف بنقل ما يتعوّذ به، بل اهتمّ بنقل الإطار المكاني وحال النبي ﷺ "وهو يصعد في ثنية هرشى"، فهل كان النبي ﷺ يعطي لهذا الصحابي درسا عمليًا في أهميّة التعوّذ حيث أنّ هذا الأمر قد حماه من موت محقّق؟ إذ لا فائدة لذكر الراوي لهذا القيد المكاني إلّا الربط بمضمون المعوذتين والتي يستعاذ بهما "من شرّ ما خلق" و "من شرّ الوسواس الخنّاس" ومؤامرة اغتياله من أجلى مصاديق الشرّ الذي يستعاذ منه.

الشاهد الخامس: وردت مجموعة من الروايات تربط بين هذا المكان، وبين نبي الله موسى بن عمران عليه السلام ويونس بن متّى عليه السلام: فقد روى البخاري في صحيحه بسنده: عن ابن عباس أنّ رسول الله ﷺ مرّ بوادي الأزرق فقال: أيّ واد هذا؟ فقالوا: هذا وادى الأزرق، قال: كأنّي أنظر إلى موسى عليه السلام هابطا من الثنيّة وله جؤار إلى الله بالتلبية، ثم أتى على ثنيّة هرشى فقال: أيّ ثنيّة هذه؟ قالوا: ثنيّة هرشى، قال: كأنّي أنظر إلى يونس بن متّى عليه السلام على ناقة حمراء جعدة، عليه جبة من صوف خطان ناقته خلبة وهو يلبّي[٢]؛ وقد ورد ذكر موسى في أخبار أخرى كما في صحيح ابن حبّان: عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: كأنّي أنظر إلى موسى بن عمران منهبطا من ثنيّة هرشى ماشيا[٣].

---

(١) معجم ما استعجم ١٣٥١/٤.

(٢) صحيح مسلم ١٠٥/١.

(٣) صحيح ابن حبّان ٧١/٩.

ويظهر من أوّل وهلة أنّ هذه الرواية لا علاقة لها بموضوعنا، لكن الغريب أنّ بعض الرواة قد حذف اسم الثنيّة من الخبر كما في مستدرك الحاكم الذي نقله كالتالي: عن ابن عباس: أنّ رسول الله ﷺ مرّ على ثنيّة فقال: ما هذه؟ قالوا: ثنية كذا وكذا، فقال: كأنّي أنظر إلى يونس بن متّى على ناقة خطامها ليف وعليه جبّة من صوف وهو يقول لبّيك اللّهُمَّ لبّيك[1].

وهذه التعمية على المكان قد تكون قرينة على أنّ القوم ربطوا بين هذا الحديث وبين قضيّة الاغتيال التي يسعى الجميع لإخفائها، خصوصا أنّ ذكر الأنبياء في خصوص هذه المواضع أمر مهمّ فما الربط بين موسى ويونس ﷺ وبين هذا المكان؟ نعم ذكر شرّاح الحديث وجوه عدّة لهذا الخبر مفادها أنّ الأنبياء قد حجّوا أو أنّه قد رآهم في معراجه، لكن هذه الوجوه لا تجيب على تركيز النبي ﷺ على المكان والسؤال عنه لجذب انتباه الناس.

والذي أحتمله بقوّة أنّ هذا الحديث فيه إشارة إلى ما سيحصل عند عودتهم من الحجّ وهو محاولة الاغتيال، فذكره ﷺ لنبي الله موسى ﷺ هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ فهو تمهيد لحصول مؤامرة لقتله ﷺ، أمّا ذكر نبي الله يونس ﷺ فهو إشارة لكيفيّة قتله وهي الإلقاء كما ألقي يونس ﷺ من السفينة لقتله، فهؤلاء المتآمرون يسعون إلى إلقاء النبي ﷺ من على راحلته ليقع ويموت كما مرّ عليك في الخبر.

إنّ هذه الحادثة ممّا قد ضيّعه المؤرّخون وتركوا ذكره، فإن كان قد وصلنا بعض الشيء حول "عقبة تبوك"، فإنّ هذه العقبة لم يصلنا عنها شيء البتّة سوى

(١) المستدرك على الصحيحين ٢/٥٨٤.

الروايات التي اشتبه فيها المؤرّخون وظنّوا أنّها من أخبار "عقبة تبوك"، وخطورة هذه القضيّة تكمن في أنّ أصحاب هذه المؤامرة أثبتوا أنّهم أصحاب مشروع سياسي متعلّق بمستقبل الحكم في الإسلام ولذلك اختاروا هذا التوقيت بالذات، والسؤال الذي يطرح هنا: كيف سيتعامل النبي ﷺ مع هذا التطوّر الخطير؟

جيش أسامة

رجع النبي ﷺ إلى المدينة المنوّرة بعد أداء مراسم الحجّ، وبسبب الأحداث التي حصلت في الطريق فإنّ الكلّ كان يترقّب ماهي الإجراءات النبويّة التي ستتّخذ بالمدينة المنوّرة، خصوصا وأنّه ﷺ قد صرّح أنّه سينتقل إلى الرفيق الأعلى: فإنّي لا أدرى لعلّي لا أحجّ بعد حجّتي هذه[1]؛ وفعلا فلم يبق في المدينة إلّا سبعين أو ثمانين يوما قبل وفاته ﷺ.

إعلان التعبئة:

كان أوّل القرارات وأهمّها التي اتخذها النبي ﷺ عند وصوله المدينة المنوّرة هو إعلان التعبئة العامّة لغزوة جديدة تحت قيادة الشاب "أسامة بن زيد بن الحارثة"، والتوجّه معه لقتال الروم الذين نكّلوا بالمسلمين في غزوة مؤتة وانتهت بقتل ثلّة من الصحابة منهم جعفر بن أبي طالب وزيد بن الحارثة.

قال الواقدي: فخرج بلوائه معقودا فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، فخرج به إلى بيت أسامة وأمر رسول الله ﷺ أسامة فعسكر بالجرف وضرب عسكره في سقاية سليمان اليوم، وجعل الناس يجدّون بالخروج إلى العسكر فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلّا انتدب في تلك الغزوة: عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو

---

(١) صحيح مسلم ٧٩/٤.

بن نفيل في رجال من المهاجرين والأنصار عدّة: قتادة بن النعمان وسلمة بن أسلم بن حريش[١].

إنّ هذه الحادثة قد تكون عاديّة إذ أنّ العشرة سنوات التي قضاها النبي ﷺ بالمدينة المنوّرة كانت مليئة بالغزوات والسرايا، إلّا أنّ المهمّ بالنسبة إلينا هو قوله: "ولم يبق أحد من المهاجرين الأوّلين إلّا انتدب في تلك الغزوة"، إذ أنّ تركيز الرواة على حثّ النبي ﷺ على خروج كبار المهاجرين في هذه الغزوة قد يكون إشارة إلى أمر مهمّ: هل كان الغرض من هذه التعبئة العامّة هو إخلاء المدينة من كلّ شخص له طموح سياسي في خلافة النبي ﷺ؟

فلو كان الغرض هو نفس الغزوة وكسر شوكة الروم لكان التركيز على انتداب الشباب الذي يمكن أن يتحمّل مشقّة الذهاب إلى مؤتة ومنازلة جيوش الروم على كثرة عددهم وشدّة بأسهم، لكنّ التركيز على خصوص كبار المهاجرين الذين هم في الأعمّ الأغلب من الكهول والشيوخ يذهب بنا إلى قبول هذا التحليل التاريخي، فإعلان التعبئة العامّة لم يكن لأجل القتال أوّلا وبالذات، بل كان بمثابة المناورة السياسيّة لإخراج "حزب النفاق" من المدينة بحيث لا يكون لهم أيّ تشويش على قضيّة انتقال السلطة إلى من بايعه الناس في الغدير، فقد ثبت بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ القوم مستعدّون لفعل أيّ شيء لبلوغ مآربهم وإن كان قتل رسول الله ﷺ!

---

(١) المغازي ٢/١١٨.

التمرّد المضاد:

لم يغب ما ذكرناه عن "حزب النفاق"، فقد فهموا أنّ الغرض من هذا الجيش هو إبعادهم عن ساحة المنافسة ومنعهم من فعل أيّ شيء يفسد تولّي عليّ بن أبي طالب عليه السلام الأمر، ومن هنا بدؤوا في عمل تمرّد مضاد لإبطال هذا الأمر النبوي وكسب الوقت، إذ أنّ الحالة الصحيّة للنبي صلى الله عليه وآله قد تدهورت جدًا ووفاته وشيكة، وقد اختاروا كخطوة أولى تأليب الرأي العام ضدّ أسامة بن زيد واللعب على الوتر القبليّ: فهذا القائد كان في سنّ الشباب ولم يبلغ العشرين من العمر وهذا ما لا يرتضيه العرب، أضف إلى ذلك أنّ والده كان عبدا وليس حرًا، فكيف يكون أميرا على جيش يتألّف من أشرف العرب نسبا لاسيما قبائل قريش؟!

روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثا وأمّر عليهم أسامة بن زيد، فطُعن في إمارته، وقال: إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله إن كان لخليقا للإمرة وإن كان لمن أحبّ الناس إليّ، وإنّ هذا لمن أحب الناس إليّ بعده[1].

وهذا الحديث الصحيح قد نقل جزءا من الواقعة، إلّا أنّه قد حذفت منه بعض الأمور المهمّة لكي يُعمّى على الحقيقة:

الأوّل: الحالة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وآله هذا الكلام، فقد أخفي في هذا الخبر كلّ ما يدلّ عليها، وقد نقل لنا ابن هشام بعض هذه التفاصيل المهمّة، قال: عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله استبطأ الناس في بعث

(١) صحيح البخاري ٨/١١٧.

أسامة بن زيد، وهو في وجعه، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر وقد كان الناس قالوا في إمرة أسامة: أمّر غلاما حدثا على جلّة المهاجرين والأنصار[١].

فهذا الكلام لم يكن كلاما عاديّا عابرا، بل كان خطبة على منبر المسجد النبوي، ولم يكن النبي ﷺ في كامل صحّته بل كان معتلّا مريضا، وكلّ هذه القرائن تدلّ على أنّ الخطب جلل، وأنّ هذا الكلام لم يكن مجرّد طعن في شخص أسامة بن زيد، بل له خلفيّات خطيرة جدّا بحيث لا يمكن السكوت عنها وتأجيل حسم الموضوع، وهذا ما يؤكّد صحّة القراءة التي طرحناها للحدث.

الثاني: تحدّث الخبر عن الطاعنين في إمرة أسامة بصيغة البناء للمجهول فقال "طُعن"، ومن حقّنا أن نستفسر عن هذا الطاعن الذي اعترض على أمر رسول الله ﷺ وألّب الناس عليه، وهذه الحقيقة قد تمّ التصريح بها في بعض كتب السير، قال الواقدي: فقال رجال من المهاجرين وكان أشدّهم في ذلك قولا عيّاش بن أبي ربيعة[٢].

إذن الطاعنون في أسامة لم يكونوا من المنافقين المشهورين بالنفاق كما ذكر البعض بل هم من المهاجرين الأوّلين، وهذا ما يؤكّد كلّ ما ذكرناه سابقا: وهو أنّ كلّ الفتن التي أثيرت هي من طرف بعض المهاجرين، فهم الذين لهم طموحات سياسيّة بخلافة النبي ﷺ لكونهم الأكثر حظّا لعدّة أسباب معروفة، وقضيّة الطعن بإمرة أسامة بن زيد لم تكن إلّا حلقة من مسلسل طويل من هذه القلاقل التي أثيرت طيلة السنوات العشر في المدينة المنوّرة.

---

(١) السيرة النبوية ٤/١٠٦٤.

(٢) المغازي ٢/١١٨.

ومن هنا تعلم أيها القارئ سبب إصرار رسول الله ﷺ على خروج هذا الجيش في أسرع وقت، فإنّ بقاء هؤلاء يعني حدوث الفتنة لا محالة، وقد نقلوا أنّ أمّ أيمن التي لا شكّ في إيمانها وإخلاصها دخلت على النبي ﷺ فقالت: "أي رسول الله لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتمائل فإنّ أسامة إن خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه، فقال رسول الله ﷺ: أنفذوا بعث أسامة"[1]؛ فالقضيّة لا تحتمل التأخير والتهاون بل هي أمر حسّاس سيحدّد لاحقا مصير الإسلام!

هل طبّقوا أمر النبي ﷺ؟

رغم هذا الوعيد الشديد من النبي ﷺ الذي وصل إلى لعن المتخلّفين كما تنقل بعض المصادر[2] إلّا أنّ القوم لم يرتدعوا بل واصلوا في غيّهم وأكملوا تطبيق مخطّطهم فامتنعوا عن الخروج في هذا الجيش تحت أعذار مختلفة وامتدّ هذا التثاقل من السادس والعشرين من صفر يوم عقد اللواء إلى حين وفاته.

ولذلك نجد أنّ هذا الأمر قد سبّب إحراجا شديدا لبعض أهل السنّة والجماعة، خصوصا مع انتداب النبي ﷺ لبعض كبار الصحابة في هذا الجيش وفي مقابل سنجد لهم دورا واضحا في أحداث وفاته ﷺ، فكيف نجمع بين وجودهم في المدينة والأمر النبوي الصريح بخروجهم إلى الجرف والتحاقهم بجيش أسامة بن زيد؟

---

(١) المغازي ٢/١١٨.

(٢) الملل والنحل ١/٢١.

ومن عجيب التوجيهات ما ذكره ابن تيميّة الحرّاني الذي حمّل أسامة مسؤولية عدم الخروج:...ولا امتنع أحد من أصحاب أسامة من الخروج معه لو خرج، بل كان أسامة هو الذي توقّف في الخروج لما خاف أن يموت النبي ﷺ فقال: كيف أذهب وأنت هكذا، أسأل عنك الركبان؟ فأذن له النبي ﷺ في المقام، ولو عزم على أسامة في الذهاب لأطاعه، ولو ذهب أسامة لم يتخلّف عنه أحد ممّن كان معه، وقد ذهبوا جميعهم معه بعد موت النبي ﷺ، ولم يتخلّف عنه أحد بغير إذنه، وأبو بكر لم يكن في جيش أسامة باتفاق أهل العلم، لكن روي أنّ عمر كان فيهم، وكان عمر خارجا مع أسامة لكن طلب منه أبو بكر أن يأذن له في المقام عنده لحاجته إليه فأذن له، مع أنّ النبي ﷺ لما مات كان أحرص الناس على تجهيز أسامة هو وأبو بكر وجمهور الصحابة أشاروا عليه بأن لا يجهزه خوفا عليهم من العدو، فقال أبو بكر: والله لا أحلّ راية عقدها النبي ﷺ، وكان إنفاذه من أعظم المصالح التي فعلها أبو بكر في أول خلافته ولم يكن في شيء من ذلك نزاع مستقر أصلا[1].

وكلامه باطل عاطل مخالف لما أثبته المؤرّخون من خروج أسامة بن زيد امتثالا لأمر رسول الله ﷺ: فقد روى ابن سعد في طبقاته بسنده عن عروة بن الزبير: كتبت إليه -أسامة- فاطمة بنت قيس: إنّ رسول ﷺ قد ثقل، وإنّي لا أدري ما يحدث، فإن رأيت أن تقيم فأقم، فدوم أسامة بالجرف حتى مات رسول الله ﷺ[2].

---

(١) منهاج السنة ٣١٩/٦.

(٢) الطبقات الكبرى ٦٨/٤.

ولا شكّ أنّ هذه الاستماتة في إنكار وجود كبار الصحابة في هذا الجيش هو لتبرير وجودهم في المدينة في المستقبل القريب، إذ أنّه سيكون لهم دور كبير في الأحداث المستقبليّة، وإذا لم يبرَّر بقاؤهم في المدينة فسيكونون داخلين في دائرة من يحتمل فيهم الطعن في أسامة وقيادة التمرّد ضدّ الأوامر النبويّة.

وما أدراك مايوم الخميس

من أهمّ الأحداث التي حصلت قبيل وفاة النبي ﷺ هي ما حصل في يوم الخميس أي قبل موته بأربعة أيّام بما أنّ موته ﷺ كان في يوم الإثنين الذي يليه، وهذا الحادثة اصطلح عليها بين المسلمين بـ"رزيّة يوم الخميس" بعد أن أطلق عليها الصحابي عبد الله بن عبّاس هذه التسمية كما سيأتينا.

القصّة برواية الصحابة:

نقلت هذه القصّة في عدّة مصادر إسلامية بحيث قلّما تجد كتابا تعرّض لسيرة النبي ﷺ أو لتاريخه لم يتحدّث عن هذه القضيّة، ومن هنا فإنّي سأنقل للقارىء العزيز أهمّ نصوص هذه الحادثة من مصادرها الأصليّة:

رواية ابن عبّاس: إنّ من أهمّ رواة هذه الحادثة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس ﷺ وقد نقلت رواياته في كتب الحديث بأسانيد صحيحة:

فقد نقل عنه البخاري ومسلم وغيرهما: لمّا حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، قال النبي ﷺ هلمّوا أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده، فقال عمر: "إنّ النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله"، فاختلف أهل البيت فاختصموا: منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النبي ﷺ كتابا لن تضلّوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ قال رسول الله: "قوموا"، قال عبيد الله: وكان ابن عباس يقول إنّ الرزيّة كل الرزيّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن

يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[١].

ورواها البخاري وغيره بواسطة سعيد بن الجبير أنّه سمع ابن عباس: يقول يوم الخميس وما يوم الخميس ثمّ بكى حتى بلّ دمعه الحصى، قلت: يا ابن عباس ما يوم الخميس؟ قال: اشتدّ برسول الله ﷺ وجعه فقال ائتوني بكتف أكتب لكم كتابا لا تضلّوا بعده أبدا، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ماله أهجر؟ استفهموه، فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه، فأمر هم بثلاث قال: اخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم، والثالثة إمّا أن سكت عنها وإمّا أن قالها فنسيتها[٢].

ورويت عنه بلفظ آخر كما في صحيح مسلم: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ ائتوني بالكتف والدواة أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده أبدا، فقالوا: إنّ رسول الله ﷺ يهجر[٣].

رواية جابر الأنصاري: نقل عنه أحمد في مسنده هذه الحادثة حيث قال: إنّ النبي ﷺ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلّون بعده، قال: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها[٤].

رواية عمر بن الخطاب: نقلها عنه الطبراني في المعجم الأوسط، قال: قال

---

(١) صحيح البخاري ٩/٧.

(٢) صحيح البخاري ٦٦/٤.

(٣) صحيح مسلم ٧٦/٥.

(٤) مسند أحمد ٣٤٦/٣.

لما مرض النبي ﷺ قال: ادعوا لي بصحيفة ودواة أكتب كتابا لا تضلّون بعدي أبدا، فكرهنا ذلك أشد الكراهة، ثم قال: ادعوا لي بصحيفة أكتب لكم كتابا لا تضلّون بعده أبدا، فقال النسوة من وراء الستر: ألا يسمعون ما يقول رسول الله ﷺ فقلت: إنّكن صواحبات يوسف إذا مرض رسول الله ﷺ عصرتن أعينكن وإذا صحّ ركبتن رقبته، فقال رسول الله ﷺ: دعوهنّ فإنهنّ خير منكم[1].

هذه أهمّ ألفاظ الحادثة التي وردت في كتب الحديث مسندة ولنا عدّة وقفات تأمّلية مع هذه الحادثة التي بنظري القاصر هي أهمّ حدث حصل في تاريخ النبي ﷺ:

أهميّة الحادثة

إنّ الذي يلاحظ تعابير الصحابي ابن عبّاس يجد أنّه قد استخدم كلّ أساليب التهويل والتضخيم: فلمّا أراد ذكر اليوم قال "يوم الخميس وما يوم الخميس" على وزان ة□□□□، ولم يكتف بذلك حتّى عرّف هذا اليوم بـ"الرزيّة" بل "كلّ الرزيّة"، أي أنّ ما حصل مصيبة عظيمة لا تقارن بها مصيبة، والأهمّ من هذا أنّه بكى لذكرها بكاء شديدا حتّى "جعل تسيل دموعه حتى رأيت على خدّيه كأنّها نظام اللؤلؤ" أو كما في تعبير سعيد بن الجبير "حتّى بلّ دمعه الحصى".

---

(١) المعجم الأوسط ٥/٢٨٧.